عين الحلوة

الطبعة الأولى – عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

1441 هـ – 2019 م

رقم الإيداع: 21348 / 2019

الترقيم الدولي: 2 – 394 – 838 – 977 – 978

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل

أمام سور نادى الزمالك– الجيزة – مصر – 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

طبع في مصر

عين الحلوة

رواية

رشا الأحمدية

النخبة
للنشر والطباعة والتوزيع
2019

الإهداء

إلى روح تلك المرأة...

التي في حياتها، ألهمتني... في مرضها، أيقظتني... وفي موتها، علمتني أهم دروس الحياة.

إلى أمي، أبي وإخوتي، حيث كل الأمان والدفء...

إلى صديقاتي، حيث تسقط الأقنعة وتتجدد الروح...

إلى بتول، التي لولاها، لما اكتملت الرواية...

إلى نادين، داني، ونور، الذين أضافوا حياتاً لأيامي... وأغنوا سعادتي...

إن هذه الرواية وشخصياتها من وحي الخيال... قد تكون أحداث «مخيم عين الحلوة» قد ألهمتني، لكن كل ما أتى في هذه الرواية لا يمت للواقع بِصلة. وأي تشابه بين الأشخاص أو الأحداث وبين شخصيات أو أحداث من الواقع، هي من قبيل الصدفة البحتة.

لم يَكُن هذا حلمهم، وطبعًا لم تكن مشيئتهم، ربما قدرهم أو قرارات أسلافهم الخاطئة، أو لعنةٌ ما أوصلتهم إلى «عين الحلوة».

تَراهُم يتجولون في هذا المُخيّم كأنه وطن. يحلمون بالعودة لكنهم استسلموا، ربّما تعبوا من المحاولة أو ملّوا أو حتى فقدوا الأمل، وربما قرروا الانتظار فاكتفوا بالحلم، فحولوا تلك الخِيّم إلى بيوت صغيرة تشبه صناديق وُضِعت بعشوائية بعضها فوق بعضٍ، وكأن من وضعها اعتقد أنها لن تكون هناك مطولاً.

لكن هذه الصناديق صمدت على مدى تسعة وستون عاماً، وما زالت تتزايد وتتوسع، ليتحول الكيلو متر المربع الواحد إلى وطن لهم، ليصبح «عين الحلوة»، عاصمة الشتات الفلسطيني، المُخيّم الأكبر في لبنان.

هذا المُخيّم الذي يحرس مداخله الجيش اللبناني لكن ممنوع عليه دخوله، تحوَّل إلى ملجأ لمطلوبين من الدولة اللبنانية، وأصبح مركز صراع القُوى الفلسطينية، حيث الفصائل أصبحت تَحكُم وتحمي المُخيّم.

عندما تدخل «مخيم عين الحلوة»، وتمشي في زواريبه وتقابل أهله، تراهم عكس تلك الصناديق العشوائية التي يعيشون فيها، تجد شعباً منظماً، قوياً، منتفضاً، وجاهزًا لأي مواجهة.

كأن التهجير والفقر وجميع الظروف القاسية قد صقلتهم كما تصقل الطبيعة القاسية الفحم وتحوله إلى ألماس. فَحَوَلتهم ظروفهم إلى مجتمع قويّ، متماسك، متعلق بالتقاليد والعادات، فحولتهم إلى عائلة كبيرة، تحاول أن تبني لها وطناً داخل لبنان.

***

التحضير للزفاف

أفاقت ريم حوالي التاسعة على صراخ أمها لجارتها أم زينب:

- «أم زينب.. وحياتك ما تنسي تحطي ماي بالثلاجة، متكلة على الله وعليكي».

- «ولو يا أم أحمد، ريم متل بنتي ومن مبارح عم حط المي بالفريزر وقلتله لأبو زينب يمد خط موتير على الساحة، في حال انقطعت الكهربا بضل العرس ماشي».

- «الله يخليلي ياكي وتفرحي من زينب».

أم زينب كانت الجارة التي تتدخل بكل شيء ولا تترك سراً، لكن لا أحد ينكر كم كانت خدومة، بالعزاء كانت أول واحدة تندب وتشور على أهل العزاء وكانت تنقل أخبار العزاء «هيْ بكت، هيْ صرخت، هيْ مش كأنو ميتلها حدا...». ونفس الشيء بالعرس، «العروس مش

طالعتلها...، كتير عم تضحك...، كأنها عم تقبر حدا...» هذا ما عدا التعليق على الثياب والضيافة... إلخ.

أم ريم كانت ست بيت عادية بالأربعينات من عمرها، لكن من وقت أن مات إبنها أحمد من عشر سنوات، ما زال الحزن يسيطر عليها، خصلات الشيب واضحة بشعرها، حواجب ملتقية، سواد حول العيون، كانت تبدو بالستينات من عمرها، كأن هذه العشر سنوات عملت شغلاً إضافياً على معانيها، وبكل مناسبة كانت تذكره.

- «ريم، بعدك نايمة؟ اي شو لكان اللي عند إمو عمهلو، تغنجي إمي، بكرا عند زوجك بدك تفيقي قبل الضو».

الحقيقة أن ريم ولا مرة تغنّجت عند أهلها، لأنها كانت وحيدة، كان شغل البيت كله عليها، صحيح أن البيت صغير، لكنه كان معجوقاً، والبيت بيت أولاد، يعني ياما اضطرت أن تمسح البيت أكثر من عشر مرات لأن أخواتها يلعبون في المنزل، وطبعاً يجب ألّا توجّه لهم أي ملاحظة.

كانت ريم تستغرب علاقة الفتاة بأبيها التي كانت تراها بالمسلسلات التركية أو الافلام الأجنبية، ولا مرة أحسّت أنها غنوجة أبيها أو مميزة عنده، كانت تحس أن والدها يستثقل وجودها

في البيت وكم سمعته يعاتب أمها اذا إشترت لها شيئاً، كان دائماً مستعجلاً على زواجها.

كل هذه الأشياء جعلتها سعيدة بزواجها من إبن عمها خالد، خالد عمره أربع وعشرون سنة، أكبر منها بثماني سنوات، خريج فيزياء ويعلّم في مدارس الاونروا، صحيح أنه ليس فارس الأحلام بشكله، كان طوله مئة وتسعة وستين سم، أشقر مع عيون عسليات، يرتدي نظارات سميكة، شعره أجعد خفيف، جسمه ممتلىء، وقليل الكلام، لكن الشكل ليس مهماً، كانت أمها تقول لها:

- «الرجال ما بينعاب بشكله».

كان خالد يعاملها جيداً، وعدها أنه عندما يتزوجها سيسمح لها بأن تذهب إلى المدرسة لتكمل تعلميها، لكن الحقيقة أن ريم لا تحب المدرسه ولا العلم وسعيدةً أن خالد خطبها باكراً حتى تترك المدرسة.

أفاقت ريم وهي تبتسم بوجه أمها فوجدتها تبكي..!

- «أول ولد رح سميه أحمد».
- «اسكتي ولي، عيب تحكي هيك، أنا عم ببكي من فرحتي فيكي».

إقتربت وقبَّلت أمها، وقبل أن تخرج من الغرفة، نادتها أمها وقالت لها:

- «ريم انتي بتعرفي إمي شو لازم تعملي الليلة، ماهيك؟» ومن دون أن تنظر إلى أمها، جاوبت:

- «أي إمي».

«لكان امي، أنا حطيت شقفة بيضا مع جهازك، هي رح تكون ضمانتك لبعدين، يلا إمي انزلي كلي شي لقمة ونظفي المطبخ، ما كنت ناوية خليكي تعملي شي، بس والله ما ملحقة».

- «ولا يهمك إمي، حتى بعد ما اتزوج رح أجي ساعدك».

دخلت إلى المطبخ وبدأت تجلي وهي تفكر ماذا قصدت أمها بالضمانة.

كانت ريم صبيه سمراء، طولها مئة وسبعة وستون سم، شعرها بني غامق ناعم، عيونها كبار عسليه ومعانيها متناسقة مع أنف صغير وشِفاه رقيقة.

***

الزفاف

جلست ريم على المرتبة، أخذت تراقب النساء وهن يرقصن، كانت متفاجئة بالتاتو على صدورهن والحلق في زكرتهن، ثم نادت أم زينب:

- «اتغطوا يا صبايا، العريس جاي».

صارت ريم تضحك لأنها فجأة أحست نفسها في حلقة دراسة قرآن. فهمست لها أمها:

- «جمدي إمي، مش حلو هيك، هلق بقولوا إنك مايعة ومجلوءة، خليكي جامدة، الرزانة ما بينشبع منها».

ردت أم خالد:

- «شو بنا أم أحمد، تركيها تنبسط! عريسها زينة شباب المخيم، أي والله كان في نسوان هني يدللو على بناتن عندي».

بلعت أم أحمد ريقها وضحكت بغصة، لأن كلام أم خالد صحيح، لكن ريم لا توافق على هذا الكلام، بالنسبة لها، خالد متعلم لكنها أجمل فتاة محجبة في المخيم وهذا ما سمعته من أم زينب ومن معلماتها وكثير من شباب المخيم أبدوا إعجابهم بها وحاولوا أن يتقربوا منها.

أم خالد ست قوية، تضع الحِجاب لكنها تبين غرّتها ودائماً كاحلها ظاهر، هي ممسكة بقرار بيتها حتى من قبل أن يتوفى زوجها، كونها تنتمي إلى أسرة عندها نفوذ في المخيم، أخوها كان الشيخ عمر، قائد أهم فصيلة في المخيم. هذا الموضوع أعطاها قوة وسلطة على نساء المخيم.

لم تكن ريم تحبها، كانت تكره كيف كانت تعامل أمها بفوقية ودائماً تبخعها أمام الناس، لكنها كانت تحب أن تكون قوية مثلها.

***

ليلة الخيبة

أخذ خالد ريم وذهبوا إلى فندق في صيدا، الشيخ عمر أصر أن يهدي إبن أخته ليلة في الفندق بالرغم من أن أم خالد لم يعجبها الموضوع، لكن هذا الشيخ عمر، لا أحد يكسر كلمته أو يرفض له طلباً.

وصلوا إلى الاوتيل بسيارة الكيا، هي السيارة التي أهداها الشيخ عمر لخالد عندما تخرّج من الجامعة، ريم كانت سعيدة كثيراً، لأول مرة ستتحرر من والدها!

لبست ريم قميص نوم ساتان أبيض طويل وعلى أكمامه كشكش، عملت مثل ما قالت لها الصبايا الذين تزوجوا قبلها، أحضرت الشقفة البيضاء، خالد كان ينتظرها على حافة التخت ببيجاما ساتان، صارت ريم تضحك، تخيلت نفسها في فيلم مصري، خالد كان مرتبك، إقترب صوبها وبدأ يلمسها من شعرها لوجهها لرقبتها، بدأ يقبّلها ويفك أزرار القميص، أما هي فكانت مستحية كثيراً، لم تكن تشعر بأي شيء ما عدا الخجل، كانت مثل الآلة تتحرك بين يديه حتى ناموا على التخت.

أحسّت أن هناك شيئاً خطأ، فجأة قام خالد قبل أن يحدث أي شيء بينهما، ريم لم تعرف ما يجب قوله أو كيف تتصرف، عاد خالد إلى التخت ومن دون أن يقول أي كلمة، أدار ظهره لريم و نام.

في اليوم الثاني، الساعة السادسة صباحاً أفاقت ريم على صوت خالد:

- «قومي ريم، خلينا نجرب هلق قبل ما ننزل نتروق».

أدارت ريم وجهها صوبه، وجـرّب هذه المرة من دون أي مقدمات، لكن لم يستطع أن يكمل وهذه المرة فهمت ريم القصة، خالد لا يكمل لأنه عاجز، وبقيت الشقفة البيضاء بيضاء، وفجأة أحسّت شعوراً بالذنب وقررت أن تبادر بقبلة، ممكن أحسّها خالد أنها لا تتجاوب ولذلك عجز معها، قام خالد من التخت، وما إن إقتربت منه، قال لها بنبرة عالية:

- «يلا لبسي، الترويقة بتخلص على العشرة».

إرتدت ريم ثيابها وبينما كانت تضع مكياجها، أعطاها خالد كلينكس وقال لها:

- «نظفي وجهك، أنا ما بحب مرتي يكون وجها متل وجه البربارة».

نظفت وجهها ونزلا إلى مطعم الأوتيل، ولم يقولا أي شيء لبعضهما أثناء تناول الفطور، كان مخطط ريم أن تقضي يومها على

كورنيش صيدا، لكن بعد ما حدث، لم تستطع أن تطلب أي شيء من خالد، كان يسيطر عليها الشعور بالذنب.

لم يعلق خالد بكلمة، ولم يحاول مرّة أخرى. تركا الفندق وكان الصمت سيد الموقف حتى كسره خالد قبل أن يصلا إلى المخيم، أوقف السيارة على جانب الطريق ونظر إلى ريم بعيون تقدح شراً و قال لها:

- «إذا حدا عرف باللي صار، رح قصلك لسانك».

وصلا إلى المخيم بوجهين صفراوين، إسُتقبلا بالزغاريد والرصاص، أم خالد كانت قد حضّرت غداء ودعت الأقارب والجيران، لم تحضّر أم خالد الغداء من أجل ريم، هي حضّرته من أجل الأصول والجاه! أما ريم فكانت ترى دموع أمها، كانت تفكر بتهديد خالد وبما حصل معها. لم يترك خالد أحداً ينفرد مع ريم، ومن وقت لوقت كان ينظر إليها بنفس الشر، كأنه يذكّرها بتهديده.

رحل الأقارب والجيران إلا أم زينب وأم ريم...

كانت أم خالد قد أعطت غرفتها للعروسين، دخلت أم زينب وأم أحمد إلى غرفة ريم وطلبتا من خالد أن يخرج،

- أم زينب: «شو ريم، كيف لقيتي الزواج؟».

- أم أحمد: «خلص أم زينب، ما تحرجيلي البنت، إمي وين الشقفة اللي عطيتك ياها؟».

- ريم: «نسيت استعملها».

عينا أم زينب فنجرتا وأمها وضعت يدها على فمها كأن ما حدث مصيبة،

- «يا دلي يا إمي، ما انا فهمّتك انو هيْ ضمانة».

- أم زينب: «بسيطة أم أحمد، خالد إبن عمها».

- «على أساس انتي ما بتعرفي أم خالد يعني؟».

خرجتا من الغرفة، لاحظ خالد كيف أن حماته مضطربة، دخل كالمجنون على ريم، أغلق الباب وإقترب منها وأمسكها من شعرها:

- «قلتلك رح قصلك لسانك».

- «وحياة الله أنا ما حكيتلن شي».

ترك شعرها ومع عبسة «شو بدهن؟» جاوبت وهي تبلع بريقها وتلهث:

- «كانت عم تسألني عن الشقفة». صمتت قليلاً ثم أكملت «الشقفة اللي بتثبت إني بنت». أنهت جملتها وهي تجلس على التخت.

- «بدن شقفه، رح نعطيهن شقفه». جاوب بنفر «حضّري حالك». ختم جملته وترك الغرفة.

صحيح هي كانت تريد أن تجرب وهذه المرة كانت ستتجاوب، لأنها كانت تشعر أنها السبب، لكن قلبها لم يكن مطمئناً، عيون خالد لم تكن تبشر بشيءٍ جيد.

***

الصدمة...

عاد خالد من الخارج وسمعت ريم أمه تنادي له كي يجلس معها:

- «خالد تع سماع أخبار».
- «مشغول هلق إمي، بعدين».

بالنسبة لأم خالد لم يعجبها الوضع، عادةً لا يفوّت نشرة الأخبار وكان دائماً يسكتُها ولا يسمح لها بالكلام أثناء الأخبار. أما الآن فهو يدخل بسرعة إلى غرفة زوجته، يحمل بيده كيساً من السوبر ماركت، «أكيد جايب شي غالي لو ما هيك كان لاقى طلبه عند دكانة أبو علي، ما كان راح على السوبر ماركت». فكرت بينها وبين حالها «لازم إحكي معه بكرا، ما بيصير يطمّعها هيك، بكرا ما بتعود تتهدى».

لكن، ما كان يجري في الغرفة، هو دمار لريم. بالكيس كان هناك علبة كفوف ومن دون أي محاولات أو مسايرة، طلب منها خلع ثيابها، إرتدى الكفوف وبأصبعه اغتصب أنوثة ريم ودمر براءتها

والفتاة صارت امرأه مكسورة، ومن دون أن ينظر إليها، رمى لها الشقفة وقال لها:

- «خذي هيْ الشقفة لأمك».

أفاقت ريم ثاني نهار وكانت عيونها متورمة من البكاء، كانت تشعر بثقل على صدرها، وألمها النفسي خدّر ألمها الجسدي. ما حصل معها لم تشاهده بأي مسلسل تركي أو عربي، الذي صار معها كان أصعب من الاغتصاب. وعندما نظرت إلى المرآة لم تعد ترى الفتاة الجميلة، إنما صارت ترى فتاة قبيحة لا رغبةً لزوجها أن يقترب منها.

خرج خالد من الغرفة قائلاً لها:

- «شوفي إمي شو بدها مساعدة ومتل ما نبهتك، ما بدي طولة لسان».

ومع الأيام صارت تحس أنها خادمة، من الصبح إلى المساء كانت تنظّف وتحضّر الطبيخ، وكانت حماتها على الطالع والنازل تلطشها على الاولاد... «خالد وحيد، حلك تجبيلنا شي ولد».

كان خالد في هذا الوقت قد إشترى تلفازاً لغرفة النوم، وكل مرّة تفيق عليه وهو يشاهد أفلاماً جنسية، فتنكسر وتنهار أكثر وأكثر إلى أن إستسلمت لواقعها.

***

لقاء الشيخ عمر

- «خالد قوم شوف مين في عنا»... أمه تدق باب الغرفة.

فتحت ريم الباب وهي تفرك عينيها:

- «خير مرة عمي، بعدها الساعة خمسة ونص».

- «وعّي زوجك ولحقيني على المطبخ... آه غطي راسك، في عنا ضيوف».

- «ضيوف مين بهيدا الوقت؟». وقبل أن تنهي حديثها، كانت حماتها أدارت ظهرها ومشت.

من دون أن تحاول إيقاظ خالد لأنها تعرف من المستحيل أن يفيق، فهو ينام وجه الصباح، حطت حجابها ولحقت أم خالد.

- «إي مرة عمي، شو بساعدك؟».

- «خدي القهوة للشيخ عمر».

حينها فهمت لماذا ضيفهم أتى الساعة الخامسة صباحاً، هي ولا مرة رأت الشيخ عمر بحكم وضعه الأمني، حتى وقت العرس، لكنها دائماً تسمع بإسمه، بالأخص من حماتها. «لو ما اخي الشيخ عمر، كانت الناس تشردت»، أغلب أهل المخيم يرونه كبطل إلا أمها كانت تعتبر أنه سبب موت أحمد.

أخدت صينية القهوة وما إن وصلت إلى غرفة الجلوس حتى جمدت بأرضها، لم تستطع أن تمشي ولا خطوة زيادة، قام الشيخ عمر صوبها وأخذ منها الصينية.

- «صباح الخير يا عروس، ما تواخذيني بس أم خالد أصرت تواعيكن».

جاوبت أم خالد وهي تحاول أن تدخل إلى الغرفة من وراء ريم...

- «والله يا خي لو ما بخاف من أولاد الحرام يعرفوا إنك عندي، كنت وعّيت الجيرة بالزغاريد». وأكملت بعد أن دخلت وجلست مقابل أخيها.

- «يا ريم شو بكي واقفة متل المسمار على الباب، روحي وعّي خالد».

- «جربت مرة عمي، ما عم يوعى». قالت وهي تمشي صوب أم خالد وجلست إلى جانبها، صحيح هي لم تحاول أن توقظه، لكنها لم تكن تريد أن تترك الغرفة.

- «اوف، زيحي هيك، انا بواعيه». قامت أم خالد وذهبت إلى الغرفة.

كانت ريم مصدومة بالشيخ عمر، كانت متوقعة أن ترى رجلاً كبير السن، اصلع، لديه ندبات بوجهه، لكن ما رأته كان يشبه أبطال المسلسلات التركية، رأت شاباً صغيراً عمره بالعشرينات، عيونه

عسلية كبيرة، فمه صغير مع شفاه مقلوبة وذقن سوداء خفيفة تخبىء خدوداً بيضاء، بالنسبة لريم كان وجهه مرسوماً وكان طويلاً ذا أكتاف عريضة، عكس خالد بكل تفصيل من تفاصيل شكله.

ناولها فنجان القهوة مع ابتسامة إنسحرت فيها ريم، وأخذت فنجان القهوة مع أنها لم تكن تحبّها ولم تكن تشربها.

- «أحمد كان خيّ، ولو ما هوِ أنا كنت متت». قال لها الشيخ عمر وهو يشرب قهوته:

- «الله يرحمه». وقربت الفنجان إلى فمها وعينيها ما زالت على الشيخ عمر...

- «شو هالحكي يا عمر؟» جاوبت أم خالد وهي تدخل الغرفة، وبعد أن جلست أكملت: «هيك سبحانه الله بده، الله بيعرف ان المخيم لازمله رجال تحميه».

أنهت أم خالد جملتها بدخول خالد...

- «أهلا أهلا بالخال».

قال خالد وهو يسلّم بحرارة على خاله، ثم أدار وجهه صوب ريم:

- «ليه ما وعيتيني؟»

- ردت ريم بصوت منخفض: «وعيتك بس إنت ما حسيت عليّي...»، وبلعت بريقها

- «إنتي وحدة كذابة». رد خالد بنبرة عالية وبصوت يمكن أن يسمعه الجيران:

- «قومي، قومي حضريلنا الترويقة».

قامت ومن دون أي كلمة أو حتى نظرة، خرجت سريعًا قبل أن تنزل دموعها.

دخلت المطبخ ودموعها شلال، أغلقت باب المطبخ كي لا يسمعوا شهيقها ولم تستطع أن توقف بكائها، كانت تبكي حالها، ولأول مرة على أخيها أحمد.

صحيح أن ريم لم تكن واعية على أحمد كثيراً، ولا مرة حزنت على موته كأخ، كانت بالحقيقة تحزن على قهر أمها، لكن هذه أول مرة تبكيه كأخ، صارت تفكر:

- «لو أحمد بعده عايش أكيد كان صار هو مسؤول الفصيلة، وما كان كسر خالد عليها أو إسترجى أن يعاملها بهذه الطريقة»، صارت أفكارها تتلخبط وتلوم حالها وتقول بسرها:

- «ما هو اصلاً شايف بيِّ، إلي كم شهر مزوّجة، ما سأل عني ولا مرّة، كأني هم و راح عنه».

تفاجأ الشيخ عمر بإبن أخته، فهو يعرفه هادئاً، والكل يشكر به كم هو هني.

- «يا خالي ما بيصير تحكي بهالطريقة مع مرتك وبالأخص قدام الناس». كان الشيخ عمر يكلم خالد والإستغراب واضحاً على وجهه!

- «ييي شو هالحكي يا خيي، شو إنت ناس، ما إنت منا وفينا!» جاوبت أم خالد مع بسمة رضا.

كان واضحاً أنها سعيدة بما فعله خالد مع أنه ليس لديها أي شيء شخصي ضد ريم، لكنها الغيرة الطبيعية بين الحماة والكنة.

- «شيلني هلق من سيرتها». جاوب خالد وهو يضيّف خاله سيجارة. رد الشيخ عمر وهو يأخذ السيجارة:

- «من ايمتى انت عم بتدخن؟»

- «شفت يا خيي، من وقت ما تزوج، صار يدخن وصار كتير عصبي».

نظرت إلى خالد وابتسمت:

- «عم فكر زوجوا وحدة تانية ترجع تروقلوا أعصابوا».

- «وحدي الله يا أختي، شو ناسية إنها بتكون بنت عمهُ كمان». ردّ الشيخ عمر مع نبرة إستنكار!

- «انا قلّك بالناقص». وقفت أم خالد «خليني شوف وين صار هالفطور؟»، ومشت صوب الباب.

أطفأ عمر سيجارته، قام وجلس إلى جانب خالد...

- «شو القصة يا خالد؟ شوعم بيصير معك؟».

صحيح أن فرق العمر بين عمر وخالد كان تقريباً ثلاث سنوات، لكن بما أن الشيخ عمر كانت له مكانة عالية، كانوا يستشيرونه بالصغيرة والكبيرة وكانوا يتعاملون معه كأنه كبير العيلة.

- «والله ياخالي، لو ما أنها بنت عمي، يمكن كنت طلقتها».

- «استغفر الله العظيم، الله يستر على جميع البنات، معليش يا خالي خليك شهم».

وقبل أن ينهي جملته، أوقفه خالد...

- «لا لا يا خالي، ريم مش هيك، ريم من أشرف بنات المخيم، أصلاً يمكن هي المشكلة...» وأخذ سيجارة وصار يهز برجل واحدة.

قرّب الشيخ عمر وجهه ناحية خالد وهو متفاجئ وهمس له...

- «المشكلة شرفها!».

- «مش هيك قصدت».

- «لكن شو قصدك فهمني؟».

حينها وقف خالد قائلاً:

- «تأخروا بالترويقة، خليني شوف وين صاروا».

وقبل أن يمشي سند ظهره الشيخ عمر وقال له:

- «قعود وحكيني، يمكن أقدر ساعدك، معلومك بفهم بأمور النسوان!». قالها مع غمزة...

صحيح أن الكل كان ينادونه الشيخ عمر، لكن ليس لأنه شيخ دين ولم يكن متديناً حتى، كان معروفًا عنه أنه يشرب الكحول، كان مصاحب راقصة، اسمها سوزان وفتح لها مطعماً في صيدا، مطعمها كان الوحيد الذي يقدم الكحول لأنه كان محمياً من الشيخ عمر وجماعته، ما كان أحد يجرؤ أن يدق فيه وإلا أنه يكون يتحدى الشيخ عمر شخصياً.

إقترب خالد وهو يخبر خاله: «هي جامدة ...». وقبل أن يكمل دخلت أم خالد «يلا حطيت الترويقة، تأخرت عليكم، بس الله يسامحها مرة خالد، فتت، لاقيتها مش محضرة شي».

بالحقيقة، عندما دخلت أم خالد إلى المطبخ، كانت ريم تهرم البصل كي لا يحرجوها دموعها، وأم خالد صارت تعطي أوامر لريم، أصلاً منذ أن تزوجت ريم، وأم خالد لم تعد تقوم بأي عمل في المنزل. بعد أن جلسوا إلى الطاولة، قال الشيخ عمر:

- « قوم خالي عيط لعروستك، مش حلوة نبلش قبلها».

- «اصلاً هي ما بتتروق، هلق بس تجوع المطبخ قدامها». ردت أم خالد.

وزّع خالد الخبز والشيخ عمر نقّل عيونه بين أخته وإبنها، تنهد وقال: «انشالله خير»، وبدأ يأكل...

دخلت ريم إلى غرفتها وهي ما زالت تبكي وكانت تحس بذل كبير، قررت أن تشتكي لأهلها رغم تهديد خالد، بالنسبة لها لم يبقَ شيء أصعب من هذه المعاملة. وقبل أن ن ينهوا الفطور، أستأذن الشيخ عمر:

- «يلا أختي، بدك شي».
- «ولو كمّل أكلك،». ردت أم خالد.
- «دايمة أختي، لازم إمشي، انتي بتعرفي الوضع كتير منيح». ثم نظر إلى خالد وأكمل:
- «ايمتى بتبلش مدرستك انت؟».
- «الاثنين الجاي» رد خالد وهو يأكل...
- «طيب، انشالله منرجع نكمل موضوعنا بس شوفك المرة الجاية، ومن هلق لوقتها طول بالك على مرتك».
- «ما تشغل بالك خال».

- «ماطّول علينا خيي، هل مرة كتير تأخرت».
- «لا انشالله عطول ببقى بطل». سلّم الشيخ عمر عليهم و ذهب.
- «ريم، ريم». نادت أم خالد بعد ما أغلقت الباب وراء أخيها.
- «شو بدك مرة عمي؟».
- «إذا ما بدك تاكلي، ضبي الطاولة».

جلست ريم مقابل خالد، لم تستطع أن تأكل شيئًا. كانت فقط تنظر إلى خالد وتفكر ما سبب الذي يحدث معها، أين خالد الذي كان وعدها بهاتف ومشاوير وأن تكمل تعليمها حتى لو لم تكن تريد، لكنها لم تستطع أن تكلمه، ما كان يقوم به خالد، كان يجعلها تنفر منه.

وبعد أن أنهت ضب الطاولة والجلي، دق جرس الباب عدة مرات، جعلهم في حالة وجوم، ظنوا أن مكروهاً حدث للشيخ عمر!

ركض خالد و فتح الباب «مرة عمي، شو بكي... شو صاير؟».

ركضت ريم إلى الباب: «إمي، شو في؟ حدا من أخوتي بو شي؟».

دخلت أم أحمد وهي تلطم وجهها: «شفتي بيك يا ريم، شفتي بيك شو عمل فينا، الله يسامحو... لأ الله لا يسامحه».

- «روقي شوي أم أحمد وفهمينا شو في، شغلتيلنا بالنا». قالت أم خالد وهي تجلس...

أمسكت ريم أمها وأجلستها وركعت على الارض مقابلها...

- «بيي تزوج... ماهيك؟».

- «بيّك... آخ من بيّك، بيّك طلع يقاتل بسوريا، هو مش قادر يطعمي إخواتك وهلق صار بدو يعمل فيها بطل»، وهي تترنح مثل السكرانين وتمسح دموعها...

ريم كان عندها ثلاثة إخوة، محمد إثنا عشر سنة، إبراهيم ثماني سنوات، ونضال خمس سنوات.

وقفت ريم وجلست إلى جانب أمها وحضنتها...

- «يعني الله يسامحه أبو أحمد على هالشغلة، كيف رح تعيشوا هلق». وهي تضرب كفاً بكف، قالت لها أم خالد.

- «كنت مأملة بمحمد، على أد ما شاطر بالمدرسة، كنت قول بكرا بيوصل للجامعة وبيتخرج وبيشتغل وبعوضنا، بس لا أبو أحمد استكترها علينا وصار بدو يعمل بطل على ضهر ولادو». جاوبت أم أحمد وهي تترنح وتبكي .

- «شو قصدك يا امي؟».

- «رح إحكي أبو زينب يشغل محمد معه، هو كان يشغله معه بالصيفية، ما في غير حل!».

- «إي والله يا أم أحمد، جبتيها، يلا هيدا نصيبك». جاوبت أم خالد.

- «لا مرة عمي، محمد من الأوائل بالمدرسة ومش لازم يطلع». رد خالد.

- «وكيف بياكلوا ويشربوا؟». ردت أم خالد.

- «أنا بخصصلكن مبلغ شهري صغير وبالصيف بيشتغل محمد مع أبو زينب».

علت ريم رأسها ونظرت إلى خالد متفاجئة بما تسمعه، وقفت أم خالد من مكانها واحتدت:

«ليك هالحكي! ما انت بدك مين يساعدك». لكن قبل أن تنهي جملتها، وقف خالد: «خلصنا أمي». ونظر إلى أم أحمد و قال لها:

- «محمد إبن عمي و أنا مجبور». ودخل إلى غرفته.

رحلت أم أحمد وهي تدعي على أبو أحمد، وتدعو لخالد:

- «حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا أبو أحمد، حسبي الله ونعم الوكيل فيك». وتكمل: «الله يرزقك يا خالد، الله يرزقك». وجسمها يتمايل مثل السكرانين من شدة الحزن.

أغلقت ريم الباب وراء أمها وأسندت ظهرها على الباب كأنها لا تستطع أن تقف على رجليها، وقبل أن تلتقط أنفاسها، جاء صوت أم خالد «ريم، ريم تعي ساعديني لحضّر للغدا».

- «حاضر مرة عمي»، وهي ما زالت واقفة على الباب.

جلسوا يتناولون الطعام، لم يتكلم أحد منهم، ومثل العادة، وضّبت ريم الطاولة ونظفت المطبخ، دخلت إلى الغرفة لتجد خالد يحضّر نفسه ليخرج.

- «شكرا خالد، اللي عملتو اليوم». وقبل أن تكمل جملتها رد خالد من دون أن يدير وجهه صوبها:

- «محمد إبن عمي وأنا مجبور فيه».

- «الله يرزقك ويعوضك».

فتح باب الغرفة قائلاً: «أنا طالع مع الشباب العب طاولة»، وخرج.

***

الحمل

أحست ريم بثقل على صدرها، كأنها مخنوقة وقررت أن تزور صديقتها زينب، غيرت ثيابها وهي خارجة، كانت حماتها تشاهد التلفاز:

- «عجبك اللي عملو خالد اليوم، بس الحق على أمك، ما كان لازم تقبل منه، يعني محمد صار شب وفي يشتغل».

- «انا ضاهرة مرة عمي».

- «لوين؟».

- «لعند زينب».

- «انتبهي البيوت أسرار»، قالت أم خالد وهي تدير وجهها صوب التلفاز.

جمدت ريم بأرضها «معقول خالد خبّر أمه؟!». فكرت بينها وبين حالها.

- «شو قصدتي مرة عمي؟» وهي تبلع بريقها...

- «مش ضروري حدا يعرف إن الشيخ عمر مرق لعنا، أولاد الحرام كتار».

- «اه إي، أكيد ما رح جيب سيرة».

وصلت لعند زينب، كانت هذه أول زيارة لريم وحدها من وقت ما تزوجت.

- «ياهلا يا هلا بريم، إي والله طول شهر عسلك». قالت لها زينب عندما فتحت الباب.

- «والله اشتقتلك كتير، ليه ما عم تزوريني؟».

- «قلتلها لإمي، بس قالتلي انو زوجك بالبيت، مش حلوة، وعدتني أن بس تبلش المدرسة تاخدني زورك، تعي معي شوي عالمطبخ بخلص الجليات ومنقعد».

- «شو وينها أمك؟».

- «ما بعرف، طلعت تعمل زيارات، يبي شو عندي أخبار إلك، منيح إنها مش هون!». ثم نادت لأخيها محمود كي يشتري لها بزورات.

- «لا زينب ما تعذبي حالك، والله ما بدي».

- «اسكتي انتي». ردت زينب وهي تغمز ريم...

وما أن سمعت طبشة الباب، نظرت إلى ريم وقالت لها:

- «تعرفت على شب على فيس بوك».

- «شو صار عندك فيس بوك، وأمك عارفة ؟!».

- «طبعًا لا، بس هن جابولي لاب توب لأني رح كمّل تعليمي، وأنا عملت فيس بوك».

- «والله إنك شيطانة وبلكي عرفت امك؟».

- «ليه هي أصلاً بتعرف دوره، يبي ملا شب».

- «وين شفتيه؟».

- «وين بدي شوفو، ما هو أصلاً من شمال لبنان، بس بعتلي صورته».

- «اه و انتي بعتيلو صورتك؟».

- «لا طبعاً». وقبل أن تكمّل، سمعتا فتحة الباب...

- «يي هي ريم عنا!». قالت أم زينب.

- «مرحبا خالتو، كيفك؟»

- «الحمدالله، كيفك انتي». وقبل أن تجيب ريم، أكملت أم زينب:

- «الله يسامحه بييك على هالعملة، هي عملة بيعملها، يعني مضطرة إمك تمد إيدها للناس».

- «انشالله ما بتعتاز حدا». جاوبت زينب وهي مكسورة...

- «هلق مزبوط خالد بكون زوجك وإبن عمك، بس منه مجبور، بكرا بتشوفي، عند أول مشكل بينكن بعيّرك وبيقطع المصروف، هلق انتي بعدك عروس عم بدلّلك ويغنجك!».

- «شو مخبيتيلنا شي بيبي؟». قالت زينب وهي تحاول أن تغير الموضوع.

وقفت ريم والقهر واضح على وجهها...

- «أنا صار لازم امشي».

- «لوين، بعد ما ضيفتك شي؟». ردت زينب.

- «ريم ما تزعلي مني، أنا بحكي معك مثل ما بحكي مع زينب!».

- «لا يا خالتي، بتموني». قبّلتهم ورحلت. غفت ليلتها ريم وهي منتظرة خالد.

في اليوم الثاني وهم يتناولون الفطور، سألت أم خالد ريم عن مشوارها لزينب،

- «دخلك ما سألتك، حلو صالون أم زينب الجديد أو مو كتير؟».

- «ما انتبهت!»

- «يي على هالحكي، ولو معقول ما انتبهتيلو!».

- «كإمي شو بدو يعرّفها ريم بصالون أم زينب؟!».

- «ما هي راحت لعندهن مبارح، معقول ما شافتهُ؟».

رمى خالد لقمة الخبز من يده وبصوت عالٍ:

- «شو! كيف تروحي من دون ما تسأليني؟». وقبل أن تقول أي كلمة، كان خالد شدّها من كوعها وأخدها إلى الغرفة ورماها على التخت.

- «شو خبرتيهن؟».

- «والله ما شي يا خالد، ما خبرتهن شي».

- «انتي وحدة كذابة، قوليلي شو خبرتيهن أو برتكب فيكي جريمة!».

- «والله يا خالد، ما حكيت شي». أكملت وهي تحاول أن تفلت منه: «أصلا أم زينب كانت عم تحكي عن عملة بيّي كل الوقت». كانت تنهي جملتها بقهر بدل الخوف.

فجأة إنفتح الباب وأم خالد واقفه مع عبسة والشر بعيونها:

- «بتخبري زينب وأمها و ما بتخبريني أنا بنص البيت!».

نظرت ريم إلى خالد بنظرات تدل على الحيرة، فهي لا تفهم ماذا تقصد أم خالد، كان خالد ينظر إليها بعتب وخوف.

- «وإنت خواجة خالد، معقول تخبي على إمك، ولا طلعت أنا مربية طرطور؟».

- «يا مرة عمي فيكي تحكي شو هاي الخبرية؟».

- «مش عم افهم ليه عم تخبوا عليّي، ما أنا ما مصدقة أيمتا بشوف أولادكن؟». وهي تنظر إلى خالد والشر الذي كان بعيونها صار دموع حزن وعتب، وريم لم تكن تستوعب هذا الحديث، جلس خالد على التخت ونزع نظاراته وصار يفرك يده على رأسه.

- «امي، القصة...» قاطعته أم خالد: «بس باركتلي أم زينب، والله الفرحة ما ساعتني ... بس انقهرت إن أم زينب تعرف قبلي!».

كان خالد ينظر إلى أمه بإستغراب وهي تتكلم، عندما أنهت أمه حديثها، نظر إلى ريم، رآها مستغربة ومتفاجئة أكثر منه وبالحقيقة ريم كانت مصدومة من أين أتى هذا الحديث. أكملت ام خالد:

- « بكرا منروح على المستوصف ومنطمن على ياسر الصغير».

والد خالد كان إسمه ياسر، وكان الكثيرون من أصحاب وأقارب خالد ينادونه أبو ياسر بما أنه معروف أن البكر يسمي إبنه الكبير على إسم والده.

بلحظتها ريم أتتها نوبة ضحك لأنها فهمت الموضوع وهكذا أكيد ثبتت براءتها أمام خالد، أما خالد نظر إلى ريم وهو يرتدي نظارته وانتبه، بالنهاية إذا فكروا أن ريم حامل يعني أكيد هي لم تقل أي شيء عن عجزه.

- «بس أنا مش حامل». جاوبت ريم وهي ما زالت تضحك.

- «معقول أم زينب تؤلف هيك خبرية؟». قالت أم خالد وهي مستغربة! ردت ريم وهي تمسح دموع فرحتها بالبراءة:

- «سألتني زينب إذا أنا حامل وأنا ما جاوبتها، يمكن كرمال هيك فكروني حامل!».

- «وانتي ليه ما جاوبتيها؟». سألها خالد.

- «قلتلك أم زينب كانت صرعتني بقصة بيي».

- «أنا رايح كمل أكلي» قال خالد وهو يخرج من الغرفة. سارت ريم وأم خالد وراءه، ريم سعيدة بالبراءة وأم خالد مخذولة. قال خالد وهو يجلس على الكرسي:

- «يا حبيبي هلق كل المخيم رح يضج بالخبر، معلومك، أم زينب أهم من رويترز».

- «يلا، انشالله بكون فال منيح». ردّت أم خالد.

يومها كانت ريم متفائلة، كم كان يوم أمس قبيحاً وصعباً، هذا النهار كان أفضل، جو المنزل كان فرحاً. خالد مرتاح على وضعه، كل الوقت كان يمزح وينكت، ريم تفاءلت بهذا النهار وقررت أن الليلة سوف توطد علاقتها مع خالد، بالنهاية رأت أن راحتها وسعادتها مرتبطتان بسعادة خالد، عندما يكون سعيداً يعاملها جيداً. لكن أيضاً الليلة غفت قبل أن يعود.

***

الخط

مرّت الأيام وبدأت مدرسة خالد، كان خالد من المحظوظين كونه طُلِب منه الإلتحاق بمدرسة في مخيم عين الحلوة وليس بمخيم بعيد، لكن خالد أيضاً كان يعطي دروساً خصوصية بعد المدرسة لتلاميذ من صيدا، كان يقبض من الخصوصي أكثر من معاشه، لكن علاقته مع ريم بقيت كما هي.

في هذه الفترة كانت الفصائل اتفقت مع بعضها، ومثل العادة وقع عشرة جرحى وكم قتيل بحفلات الإبتهاج التي صارت، والشيخ عمر

صار يتردد أكثر لعند أخته ومن زيارة لزيارة كان إعجاب ريم للشيخ عمر يزيد، حتى صارت تحب القهوة المرّة لأنه يحبها، صارت تنتظر زيارته وبدل أن تتابع مسلسلات مع حماتها، صارت تحضّر قهوتها، تدخل غرفتها وتتذكر أحاديثه أو تتخيل حالها معه.

أم خالد لم تنسَ موضوع الأولاد، قررت أن تأخذ ريم عند الدكتورة، الدكتورة طمنتهم أنه لا يوجد مشكلة كبيرة، لكن ريم تعاني من تكيس على المبيض وهذا الشيء يؤخر الحمل. ومع أن الدكتورة وضحت لأم خالد أن هذه المشكلة منتشرة بشكل كبير ومع بعض الأدوية تنحل المشكلة وستة أشهر لا تعد تأخراً بالحمل لكن أم خالد أستنتجت أن ريم لا تستطيع أن تحبل ويجب أن تتعالج.

وهن عائدين إلى المنزل بالسرفيس كانت أم خالد تتأفف: «يي شو هالحظ عليك يا خالد!»

- «يعني ما بكفي عم يصرف على أهلك، كمان بدو يدفع ليجيب ولاد، إي انتي شو فرقانة معك، شو انتي عم تتعبي بالمصاري، يا ولدي عليه بفيق قبل الضو وما بيرجع إلا لنص الليل وما عم يلحق، ومن وين بدو يجيب، في ناس بتدفع الفوقا والتحتا لتتعالج ونحنا يا حسرة، البيت اللي ساكنينو مش مالكينو».

بقيت ريم صامتة، تنظر من الشباك، ثم ردّت على أم خالد، سيدة تجلس إلى جانب السائق، نظرت إلى أم خالد وقالت لها:

- «ما تواخذني، بس أنا سمعت حديثك، ومش قادرة ما أتّدخل، أنا رح دلكن على وحدة وانشالله بتنحل مشكلتكن على ايدها».

- «إيدي بزنارك». ردت أم خالد وريم كانت تنظر إلى هذه الست باستغراب. حينها أكملت الست حديثها بثقة أكبر:

- «شوفي، بنت عمي، ما خلّت دكتور إلا ما راحت لعنده، ودفعت الفوقها والتحتها، كان زوجها رح يتزوج عليها، المسكينة انهارت، حتى الله بعتلها أولاد الحلال، ودلّوها على ست بصيدا القديمة بتشيل الخط، طبعاً ما كانت تآمن، بس خلص ما كان عندها أي حل وراحت وطلع أنه في بنت حرام عاملتلها خط».

شهقت أم خالد: «يا حرام!».

- «إي والله متل ما عم بخبرك...»، وأكملت الست حديثها: «وهاي الست شالتلها الخط، وما في شهر وإلا حبلت بتوم صبيان!».

شكرت أم خالد الست وأخذت كل التفاصيل منها، أول ما وصل خالد إلى البيت نادته أم خالد:

- «خالد عايزتك بموضوع مهم، لحقني على غرفتي».

- «ما بيتأجل، بدي أتغدى وأطلع لحّق الخصوصي».

- «أمي الموضوع كتير مهم».

- «لكان ريم جيبيلي صحن الطبيخ لهون، شو في إمي خير؟!».

بعد ما خرجت ريم من الغرفة، تأكدت أم خالد أن ريم دخلت إلى المطبخ، قالت:

- «مرتك طلعت ما بتجيب أولاد، وإذا بدك تعالجها، بتحط كتير مصاري ويمكن ما يمشي الحال، بس الله حس فيّي على قد ما كنت مقهورة وبعتلي بنت حلال دلتني على وحدة بتشيل الخط وبتعملكن حرز، بدي جرّب عندها أول شي وإذا ما مشي الحال بدي زوجك وحدة تانية».

بكل الحديث خالد لم يكن مهتماً، إلى أن ذكرت أمه سيرة الزواج، نظر إلى أمه وأجابها:

- «شو خط ما خط يا إمي، أستغفر الله العظيم، هو ناس دجّالين». لكنه لم يعلق ولا كلمة على فكرة الزواج.

عرفت ريم أن حماتها كانت تحكي مع خالد عن مشكلتها بالحبل، لكنها كانت تفكر بالست التي تشيل الخط.

- «معقول إذا رحت لعندها، رح تعرف مشكلتي الحقيقية وهيك أم خالد ببطل إلها عين تحكي معي شي!». وتحمّست لهذه الفكرة. أما خالد، خرج من البيت وهو متحمس لفكرة الزواج.

بعد كم يوم سألت ريم حماتها:

- «شو مرة عمي، أيمتى بدك تاخديني عند هيْ البصّارة؟».
- «أول شي ما إسمها بصّارة، وتاني شي خليني قنّع خالد».
- «بس يا مرة عمي، خالد ما رح يقتنع، هو ما بآمن بهيك شي».

كانت ريم معتقدة أن خالد لن يتركهم يذهبون حتى لا ينفضح سره، لكنّ خالد لم يكن بهذا الوارد أبداً، خالد لا يؤمن أبدا بهذه القصص.

- «خليني شوف، اليوم برجع بحكي معه، ما تفكريني مش حاسة فيكي، أنا بعرف أنه طقّ قلبك على ولد، أنا ملوّعة، كان بدي جيب أخوة لخالد بس أنتي بتعرفي شو رجع صار مع عمك».

كان خالد عمره سنتان عندما إختلفت الفصائل مع بعضها، أُصيبَ أبو خالد برصاصة طايشة جعلته يقضي بقية عمره مشلولاً.

بالحقيقة ريم لم تكن تحب الأولاد كثيراً، كانت تهتم بأخواتها الصغار، يعني بإختصار كان قلبها ملّ الأولاد، لكن كانت تفكر بالزواج إعتقاداً منها أن حياتها بعد الزواج سوف تكون عبارة عن مشاوير وسهرات، ولا مرّة تخيلت أن الزواج مسؤولية أو سوف يقيدها. أعتقدت أن الزواج سيكون خلاصها من الشغل عند أهلها، الحرية التي تنتظرها، وأحياناً كانت تفكر بينها وبين حالها:

- «بس أتزوج خالد رح قنّعو يخليني إشلح الحجاب وإذا بيي إعترض، رح قلو هيك زوجي بدهُ». و تكمل بأحلامها: «بكرا بصير بجي عند أهلي ضيفة معززة مكرمة». وأحيانًا تتخيل أباها يقول لها: «وينك يا بنتي عم نشتقلك، عم بطولي علينا!». حتى وصلت بأحلامها أن خالد يعلّمها القيادة وتتخيل نفسها في إحدى قهاوي الكورنيش تأركل وتشيْك الفيس بوك. لكن طبعاً الأمور لم تسرْ كما حلمت ومن أول ليلة مع خالد إنهارت كل أحلامها.

من كثر ما نقت أم خالد على أبنها، وافق أخيراً ن يذهبوا عند البصّارة، على قدر ما تفاجأت ريم بموافقة خالد، كانت متحمسة لهذه الزيارة.

عندما وصلوا، تفاجأت ريم بما رأته، كانت متخيلة أنها سترى غرفة مظلمة، فيها دخنة كبيرة من البخور، يعني كما الأفلام، لكنها رأت صالة انتظار كبيرة، فيها صالون جلد ومكتب وراءهُ صبية شقراء، ترتدي شورت جينز وقميص من دون أكمام، وبعد أن أعطتهن رقم فهمت ريم أنها السكرتيرة، بعد أن جلسوا، قالت أم خالد:

- «شفتي شو عندها عجقة، يعني أكيد شاطرة!».

كان الناس المنتظرون يتسايرون ويخبرون مشاكلهم التي حضروا من أجلها لعند الست هلا، كأنهم أعز الأصحاب.

غربين نحن البشر كيف أحياناً نأتمن أناساً لا نعرف أسماءهم حتى على أسرارنا، معظم هؤلاء الناس أتوا بالسِر عن أقرب المقربين لهم، وربما المشكلة التي أتت بهم لا أحد يعرف بها غيرهم، ونراهم يتحدثون بها أمام غرباء لم يروهم طيلة حياتهم.

هذه الظاهرة طبيعية، فالإنسان بطبعه يخاف مجتمعه وبيئته، يحاول قدر الإمكان أن يحافظ على صورته التي رسمها لنفسه، قد تكون القوي، العاقل، الصادق...، فقط أمام هذا الغريب، تستطيع ان تخلع القناع، أن تكون حقيقياً... كم منّا شارك همومه مع أغراب وترانا نبتسم أمام المقربون كأن لدينا الحياة المثالية.

واحدة من الستات أخبرتهن أنها أتت لتزيل الخط عن ابنها، هي مقتنعة أن كنتها هي التي خطّت له حتى يكره أمه ويصير خاتماً بيدها.

أم خالد لعب الفأر بعبها وصارت تقول بينها وبين حالها: «هلق عرفت شو سر هالحماس على المجية، أكيد بدها تعمله لخالد هيك حرز، بس والله، إجري على إجرها، ما رح خليها تبقى لحالها جوا أبداً».

ريم كانت متفاجئة بالزحمة التي تراها، لم يكن يفضى مقعد وإلا يرجع يعبي. وبعد ساعة صارت السكرتيرة تعتذر من الذين يأتون مؤخراً:

- «خلص اليوم صرنا فول، تعوا بكرا بكير». بعض الأشخاص كانوا يجادلوها أنهم أتوا من منطقة بعيدة فترد عليهم:

- «والله مش بإيدي، هي بتشوف بس سبعة و ثلاثين شخص ونحنا وصلنا لهيدا الرقم».

وبعد ساعتين أتى دور أم خالد وريم، دخلوا عند الست هلا، ريم إنصدمت أكثر بما رأت، كانت الست هلا سيدة جميلة، بالأربعينات من عمرها، لابسة على الموضه لكنها محتشمة أكثر من السكرتيرة .

- «اتفضلوا، أنتوا أول مرة بتجوا، صح؟»
- «إي مزبوط... أول مرة». ردت أم خالد
- «لكن قبل ما نبلش، أنا ما بعمل للشر، بس بشتغل للخير!».
- «شو شر ما شر، العوذ بالله، نحنا جايين للخير». ردت أم خالد
- «إي قولولي».

جاوبت أم خالد وهي مرتبكة:

- «إبني وحيد وتزوج بنت عمه»، ودلت بيدها على ريم، وأكملت وهي تبلع ريقها:
- «و بعد لهلق ما اجاهن ولاد».

نظرت الست هلا إلى ريم وقالت لأم خالد:

- «ادي الهن مزوجين، كنتك مبينة صغيرة!».
- «الن ستْ أشهر».

- «هههه، الله يسامحك، بعد كتير بكير!»

وإرتبكت أم خالد أكثر وجاوبت:

- «بس الدكتورة قالت أن ما رح تحبل بلا علاج، وبنت حلال دلتني عليكي».

- «وصلتي يا خالتي،» وأخدت قلمها «يلا قوليلي إسم إبنك وإسمك وأي نهار خلق ونفس الشي للعروس».

بعد أن كتبت الأسماء، صارت تكتب أرقام وقالت لأم خالد:

- «بتجوا الخميس وبتاخدوا الحرز من الطابق الاول، هيدا الحرز بكلفكن مية دولار، والشب اللي بيعطيكن الحرز، بقلكن شو لازم تعملوا فيه».

صُدمت ريم عندما سمعت مئة دولار وبعد أن خرجوا قالت بصوت منخفض لحماتها:

- «والله كتير مية دولار يا مرة عمي!».

أم خالد التي كانت خجولة ومرتبكة عند الست هلا، عادت أم خالد التي تعرفها ريم، نظرت إلى ريم وقالت لها:

- «هي المية دولار ماكانت رح تكفينا فحوصات عند الدكاترة.. وبعدين تعي لقلك، يعني هلق المية دولار اللي بدنا ندفعها لتجيبي

أولاد، إستغليتيها والمتين وخمسين دولار اللي عم يعطيها خالد لإمك كل شهر مش مستكتريها؟!».

ريم بقيت صامتة وكانت الدمعة بعينها ليس من كلام حماتها فقط، بل أيضاً لأنها إعتقدت أن عند الست هلا سوف تعرف حماتها المشكلة الأساسية، لكن هذا الشيء لم يحصل.

***

المفاجئة

وصلوا إلى البيت، وجدوا الشيخ عمر عندهم يشرب الشاي هو وخالد،

- «يي الشيخ عمر عنا، والله لوعرفت إنك جاي اليوم، كنت أجلت مشواري لبكرا».

نظر خالد إلى خاله وابتسم، ثم نظر الشيخ عمر إلى أخته قائلاً لها:

- «خلي ريم تعملي فنجان قهوة».
- «ولك تكرم عينك، أنا رح أعملها بأيدي!».
- «لا أختي، معليه أنا بحب قهوة ريم، خليها هي تعمل القهوة».
- «ليك ليك هالحكي، شو مين فكرك علمها لريم القهوة... إي والله أجت لعندي بيضة ما بتعرف تقلي...».

وقف الشيخ عمر وإقترب من أخته وقبّلها برأسها وقال لها:

- «يا عمي أنتي ست الكل، بس كلو فنجان قهوة، مرقيلنا ياه». مع بسمة...

طلت ريم من وراء حماتها مع صينية القهوة، كانت عيونها تضحك، وبسمتها كشفت عن أسنان مثل حبات اللولو وبثقة كبيرة قالت:

- «ماتزعلي مرة عمي، بس أنا عندي نفس طيب، طول عمرها أمي تقول قد ما تكون الوحدة شاطرة بالأكل، إذا ما عندها نفس، بيطلع طبخها مش طيب».

ابتسم الشيخ عمر ومد يده ليأخد الصينية منها، نظرت إليها حماتها وردت:

- «ولي ريم، شو قصدك، أنا ما عندي نفس على الاكل؟».

- «لا يا مرة عمي، والله ما هيك قصدت». وخرجت ريم بسرعة من الغرفة قبل أن تقول حماتها شيئاً آخر. الشيخ عمر وخالد صاروا يضحكوا.

- «عجبكن هيك... إي ضحكوا ضحكوا، كبر الواوي وصار مضحكة الكلاب».

رد الشيخ عمر وهو يشرب قهوته:

- «انتي أكبر قدر أختي، والله أنك بركتنا».

صب خالد فنجان القهوة وناوله لأمه وقال لها:

- «قعدي امي، قعدي اشربي فنجان قهوة لتكون ريم حضّرت الأكل».

- «والله خواجة خالد، وما تكون انت كمان بتحب أكلها أكتر من أكلي».

- «لا والله يا أمي، أنا على أكلك ما بستطيب، بس بدي ريحك».

- «لا أمي، اشربوا إنت هالفنجان، أنا فايتة على المطبخ، لأنه إذا على تكلة مرتك، ما مناكل لبكرا!».

نظر خالد إلى خاله وقال له: «زمطت!».

ردت أمه وهي بطريقها إلى المطبخ: «سمعتك!».

في المطبخ كانت ريم سعيدة جداً، تحضّر الأكل وهي تغني، ليس فقط لأن الشيخ عمر تغزل بقهوتها، بل لأنها أحست أن هذه أول مرّة ينظر إليها بطريقة جديدة، مع أنها لم تستطع تفسير هذه النظرة، هذه المرّة إحساسها كان بمكانه.

عندما كانت أم خالد وريم عند الست هلا، أخبر خالد خاله لماذا ذهبت أمه وريم إلى صيدا، وأخبر خاله عن علاقته بريم والشيخ عمر كان ينظر إلى ريم ويفكر:

- «كيف بنت بهالحلى ما حركته لخالد؟!».

وعندما تأكد الشيخ عمر أن أخته صارت بالمطبخ، إقترب من خالد وقال له بصوت منخفض:

- «جربت تاخد فياغرا؟».

- «مش هي المشكلة يا خالي».

- «شو بعرّفك، جرب يا خيي، أو شوف شي حكيم، اليوم...»

وقبل أن يكمل حديثه، قاطعه خالد:

- «أنا بقدر، بس مع ريم ما بقدر».

وبصوت أعلى من قبل، رد الشيخ عمر:

- «والله! فهمني كيف زبطت معك هي؟!».

- «شو في خالي، رح تفضحنا، خلص بعدين بتفهم».

دق تلفون الشيخ عمر وهو ينظر إلى شاشة تلفونه:

- «بخلص تلفوني ومنحكي، اليوم بدي أفهم كل شي».

وقبل أن يكملوا حديثهم، كانت الطاولة جاهزة، جلس الشيخ عمر إلى جانب خالد مقابل ريم.

- «شو أختي بعرفك أذكى من هيك، معقولة طلعتي بتآمني بهالدجالين؟» وقبل أن ترد أم خالد جاوبت ريم و بحماس:

- «لا لا، هي اللي رحنا لعندها مش من هو الدجالين، مبينة ست محترمة كتير كلاس متل سيدات المجتمع».

نظر الشيخ عمر إلى ريم وسألها وهو يضحك:

- «فهمينا يا ريم كيف يعني محترمة وكلاس؟».

كان يسألها كأنه يسأل طفلة صغيرة يستهضمها ويريد إستدراجها لتحكي أكثر، وأكمل:

- «ليش كيف بكونوا سيدات المجتمع يعني؟».

- «يعني مثل أمه لمهند».

- «إتفضل فاتتلك فيها مسلسلات تركية!» رد خالد.

- «أنا والله ما بعرفها لأمه لمهند، إشرحيلي كيف بكون شكلها؟».

- «أنو هيك كانت لابسة جاكيت وتنورة قصيرة، وشعراتها مزبطين وهي كتير حلوة».

- «اه لو عارف هيك، كنت رحت معكن» رد خالد وصارو يضحكوا.

- «هلق انت وياه عم تتمسخروا، روحوا شوف العجقة عندها، وبعدين خيي هي مش دجّالة، ما بتشتغل للشر بس للخير». ردت أم خالد.

- «بس بصراحة هي غلوجية، رح تاخد مئة دولار منّا!». ردت ريم.

- «يعني اللي بيسمعك، بقول قلبك على مصريات زوجك وتعبه، مش أنُ أمك عم تمصّله دمه كل آخر شهر». قالت أم خالد.

أحسّت ريم بالبخعة ووقفت لتستأذن، قال لها الشيخ عمر:

- «ريم، أقعدي.». لكن ريم بقيت واقفة ثم قال لها بحزم وعصبية: «عم قلك اقعدي!».

وعندما جلست ريم، نظر إلى أخته وقال لها وهو يشدد على كلامه:

- «خالد مجبور يساعد بيت عمه، هيدا أقل شي في يعملو وانتي بتعرفي كتيرمنيح أنه هيدا العز اللي انتي فيه من ورا أبو أحمد».

ريم تفاجأت بهذا الكلام: «كيف يعني؟»، وعيونها على الشيخ عمر،

- «قومي ريم قومي جيبي صحن المكدوس». قالت أم خالد.

- «صحن المكدوس على الطاولة مرة عمي، وعيونها ما زالت على عمر: «الله يخليك شيخ عمر، فهمني شو اللي حكيتو هلق؟»».

وقبل أن يجاوب الشيخ عمر، صرخت أم خالد: «عمر!» كانت هذه أول مرة تسمع ريم حماتها تكلم الشيخ عمر باسمه بهذه النبرة، نظر الشيخ عمر إلى أخته:

- «ما تزعلي مني أختي...» ونظر إلى ريم وأكمل حديثه:

- «بعد ما اتصاوب أبو خالد بفترة صغيرة، كان بيّك مجمّع شوية مصاري، بدو يفتح دكانة صغيرة، بس لاقى أنُ أبو خالد عم ينهار وتعبت نفسيته، قام أبو أحمد فتح الدكانة وأعطاها لأبو خالد حتى يشتغل وهيك بيطلع من الحالة النفسية اللي كان عم بعيشها، ولما قعدت فيها مرة عمك بعد ما مات عمك، فكروها إلي وقصفوها».

ريم تتذكر الدكان، لكنها لم تكن تعرف أنه لوالدها، وعلى قدر ما قوّت هذه الخبرية معنوياتها، على قدر ما كرّهتها بوالدها، كيف عيّش أمها بالذل والفقر، وبوقت سلفتها كانت تتنعم بخيره.

وقفت ريم، أخدت صحنها ومشت إلى المطبخ... قال لها الشيخ عمر: «شو بكي وقفتي؟ اقعدي كملي اكلك».

- «شبعت الحمد الله!».

وبعد أن صارت ريم بالمطبخ قالت أم خالد لأخيها:

- «شو كان إلها لزوم هالخبرية، ليك وينو خالد وفى بكلمة بيو وتزوج ريم».

- «ليك على هالحكي، شو بنت عمو ناقصها إيد أو إجر...؟!».

- «أنت أكتر واحد بتعرف أنُ خالد ما كان إله خاطر فيها، وأنا بقيت وراه لحتى آخدها كرمال ما يقولوا خالد كسر اتفاقية بيو وعمه، مع

إنه كان في ياخد أحلى بنت بالمخيم، ريم بريفيه ما معها..» وعندما أراد أن يجاوبها الشيخ عمر، أكملت أم خالد:

- «قبل ما تجاوب، سألت إذا ناقصها إيد أو إجر، طلع ناقصها أهم شي بالدني، حبَل ما بتقدر تحبل»... قالتها أم خالد بعصبية وبصوت عالٍ وقامت مشت وهي تتمتم...

- «بخلو الواحد يطلع عن دينو !» إلتقت بريم وقالت لها «زيحي هيك».

سمعها الشيخ عمر وخالد وعرفوا أن ريم سمعت كل شيء، وقبل أن تصل ريم إلى غرفتها، ناداها الشيخ عمر...

- «ريم، تعي شوي».

- «خير شيخ عمر، بدك مني شي؟». وعيونها ملأى بالدموع...

دق تلفون خالد. وبعد أن نظر إلى شاشة هاتفه، قام من مكانه بسرعة وذهب صوب الباب، جرّب الشيخ عمر أن يناديه لكن خالد رد:

- « بعدين خالي بعدين».

قال عمرلريم: «شو رأيك تعمليلنا فنجان قهوة غير شكل من تحت إيديكي، نقعد نشربه ونحكي شوي».

بالحقيقة الشيخ عمر ما كان عنده شيء يقوله، لكنه كان مقهوراً كثيراً على ريم، كان يريد أن يطيّب خاطرها، قام وبدأ يضبّ الطاولة

وعندما وصل إلى المطبخ ومعه الصحون، ركضت ريم تأخذ الصحون منه:

- «يا عيب الشوم منك، أنا هلق بضبّها». وهي تأخدها، تلاقت يديها بيديه، ريم أحسّت كأن كهرباء مشت بجسدها، أخدت الصحون ولم تستطع أن تحط عيونها بعيون الشيخ عمر من كثرة خجلها، وأكملوا ضب الطاولة وجلسوا يشربون القهوة.

- «تأخر خالد.» قال لها الشيخ عمر.

- «رح روح عيطلوا» ووقفت...

- «اقعدي، اقعدي، بس يخلّص بيجي».

جلست وهي تقول «إذا ما حدا عيطلوا، بضل لبكرا عالتلفون».

وبعد سكوت فترة، والشيخ عمر يرى الهمّ بعيون ريم و يفكر «كيف خالد مش قادر يحبها؟!».

وليبسطها قال لها:

- «بدي أعرف شو سر هالقهوة الطيبة، إذا ما قلتيلي، كل ما يطلع عبالي قهوة، بتشوفيني عندك».

نظرت إليه ريم وإبتسمت وقالت له: «إذا هيك، ما رح خبّرك كرمال عطول نشوفك عنا».

ثم دخل خالد وهو يبلع ريقه: «ما تواخذني خال، طوّلت، بس هيدا تلميذ، بكرا عنده إمتحان وفي أشياء مش فهمها».

وقف الشيخ عمر وهو يتأكد من تلفونه ومفاتيحه: «أنا صار لازم إمشي، اتأخرت». نظر إلى خالد وقال له:

- «تلميذ قلتلي، أي الله ينجحو ويهدي أستاذه». ومشى.

بعد أن خرج خالد، ذهبت ريم لعند أمها حتى تخبرها كل شيء عرفته وما حصل معها.

- «ريم، تقبريني يا أمي، والله مشتاقتلك». وأمامها كرتونة كوسا تنقرها.

- «شو هيدا يا أمي، لشو كل هالكوسا؟».

- «في واحد بسوق الخضرا، زبوناته كتير مغنجين، بوصّوا على كوسا منقورة، باميه مقمعة، حتى البقدونس مهروم، وهو بس يكون عنده هيك طلبيات بيبعتلي ياها».

- «خلص، رح قول لخالد يعطيكي زيادة و بلا هالتعب».

- «لا يا أمي، زوجك مش مقصر!».

وقفت ريم و قالت لها:

- «امبلا هو مقصر، اليوم إجا الشيخ عمر وخبّرني كل شي، أنتي بتعرفي أنُ المحل اللي تبع عمي هو بالأساس لإلنا؟».

أمها كانت تنظر إليها متفاجئةً من ردة فعلها وعصبيتها..!

- «إي بعرف، بيبك أعطاه المحل لعمك لأنُ الله يرحمه شلله عمله أزمة نفسية وطلب منه بس يشتغل خالد بيتزوجك وبيرجعلنا المحل، بس الله يهدّن قصفوه أولاد الحرام... مزبوط خسرنا المحل...»وقبل أن تكمل أم أحمد، قاطعتها ريم...

- «يعني المحل مقابل يتزوجني خالد؟!».

- «إي مزبوط، شو بكي أمي، ليه معصبة؟». ردّت أمها ببرودة أعصاب.

- «شو بني معصبة؟ ولك أنا بسمع بيْ ببيع بنته، بس أول مرّة بسمع إنه بيْ بيشتري عريس لبنته!! هالقد أنا رخيصة عنده، ولك هالقد كنت ثقيلة عليه». وتحولّ تعصيب ريم إلى دموع.

- «ليك هالسمعة ليك، ليكي امي بيّك عنده كتير أغلاط، بس اللي عملو معك، هو الشي الوحيد الصح، ليه عم تقولي إنك رخيصة عنده؟ ليه ما بتقولي إن هو بدو يطمّن باله عليك؟! عالقليلة بالشي اللي عمله ضمنلك مستقبلك».

- «بتقوموا تشتروا لي عريس، هيك بتأمنولي مستقبلي؟!».

- «شو بدك يعني، بالعلم ما كنتي فالحة، أنا وبيّك مش دايمينلك، إخواتك أصغر منك ونحنا بأرض مش أرضنا، أي شباب عم بضيع،

فكيف بالأحرى بنات؟! وبعدين اللي بيسمعك بقول أنه زتيناك أو زوجناكي لواحد أكبر منك بعشرين سنة، اولشي أزعر! أي والله خالد ما في منه، معلم وشغيل وليكي وينه ما قصّر معنا بشي. ليكي، أمي أشكري ربك وإحمديه، البنات مش لاقيين عرسان، ولك أم زينب كل يوم تجي تشكيلي أنُ ما عم يندق بابن، المسكينة خايفه يعنسوا بناتها، يا بنتي أضحكي بسرك وأشكري ربّك، شباب المخيم ما عادوا اطّلعوا بوحدة مش معلمّة، قال صار بدن وحدة تشتغل وتساعدهن بالمصاريف».

هدأت ريم قليلاً لكنها بقيت تبكي «بس خالد ما بحبني و...». وقبل أن تكمل ريم قاطعتها أمها وقالت لها:

- «هي مشكلتك، خالد رجّال متل كل هالرجال، كلمة حلوة، شوية حمرا، وجه عم يضحك، بيصير متل الخاتم بأصبعك، يا أمي كل مرّة بجي بدي قلك بس بخاف تزعلي، كل مرّة بشوفك، وجهك أصفر وريحتك يا إما بصل أو توم، والله بس كنت بعمرك كنت ضلني عالدقة ونص بس موتة خيّك أحمد قتلتني معه... وبعدين شو ناطرة ما بتجيبيلك شي ولد؟!».

إبتسمت أم أحمد لتطرّي الجو قليلاً وأكملت: «دخلك مش وعدتيني تسمّيه أحمد، شو وينه أحمد؟».

ريم وهي تمسح دموعها: «مش لينام معي أول شي».

- «معليه أمي طولي بالك عليه، أكيد عم يهلك، مدرسة قبل الضهر وتلاميذ خصوصي بعد الضهر، إي الله يعينه، ولك أنا امبارح كنت عم درّس خيّك إبراهيم قراءة، نتفته ونتفت حالي، كيف بالأحرى زوجك وأكيد ما في لا يفش خلقه ولا يضرب التلاميذ!».

وقبل أن تُفّهم ريم أمها الحقيقة، أتوا أخواتها وركضوا يسلموا عليها.

- «كملي الكوسيات لقوم لفلّن لإخواتك سندويشات، محمد ساعد أخواتك بالحمام».

قال ابراهيم، أخاها الوسطاني: «لفيلي جبنة».

- «ما في جبنه، في زعتر». ردت أمه من المطبخ.

نظر إلى ريم وقال لها: «يا الله، كل يوم زعتر!».

إبتسمت ريم وقالت له: «خلص، بكرا بجبلك جبنة».

***

غفت ريم ليلتها وهي تفكر بكلام أمها، بالرغم من قهرها كان موضوع أبيها قد أراحها قليلاً، يعني والدها فكر فيها وحمل همها... ومثل كل ليلة نامت قبل أن يعود خالد.

أحضروا الحرز ووضعوه بين ثياب خالد، وريم صارت تهتم أكثر بنفسها، لكن لم يتغير أي شيء، خالد لم يكن يحاول وحتى إذا شعر أن ريم تحاول أن تتقرب منه، كان ينفرها ويتحجج أنه تعبان وثاني يوم يجب أن يفيق باكراً.

وبعد مرور ثلاثة أشهر، كانت أم خالد تسألها كل يومين: «شو صار معك؟... في شئ عالطريق؟ ...»، كانت ريم تريد أن تخبر حماتها، لكنها كانت متأكدة أن حماتها ستضع الحق عليها وحينها سوف يطلقها خالد ولن يدفع لأمها.

***

مفاجأة خالد

اتصل خالد بخاله ودعاه على الفطور، وطبعاً ريم كانت سعيدة جداً بهذه الدعوة.

حضّرت ريم وأم خالد الفطور، جلسوا إلى الطاولة، هذه المرّة جلس خالد إلى جانب ريم مقابل خاله وأمه.

- «شو طمنونا، جاب هالحرز نتيجة؟» قال الشيخ عمر وهو ينظر إلى خالد،
- «لا خي، الهيئة ما في شي بينفع». ردت أم خالد.

- «أنا عندي شي بدي قولوا». قال خالد.

نظرت ريم إلى خالد منتظرة ماذا سوف يقول، أما أم خالد والشيخ عمر استمروا في الأكل، حتى نطق خالد:

- «أنا قررت اتزوج!»

ريم فتحت فمها وفنجرت عيونها... وأم خالد نظرت إلى إبنها وابتسمت، أما الشيخ عمر نظر إلى خالد واللقمه جمدت بيده وقال له:

- «بلا مزح خالي، بلا هيك مزح».
- «بس يا خالي، أنا ما عم بمزح». رد خالد برواق وبجدية...
- «خلص أنا من بكرا، بدي فتشلك، والله لزوجك ست الستات!».

ترك الشيخ عمر اللقمة تقع من يده ونظر إلى أخته وبدا الغضب واضحاً عليه.

- «وحدي الله أختي، شو نسيتي أنه إبنك مزوج بنت عمه!».

خالد وبكل رواق وجّه الحديث إلى أمه:

- «لا أمي، ما بدا تفتيش، العروس موجودة،» ونظر إلى خاله وأكمل «الدين محلّلي أربع».

ريم التى ما زالت مصدومة بالخبرية، سألت خالد: «مين العروس؟» وبلعت رِيقها.

نظر الشيخ عمر إلى ريم بصدمة، وخالد ردّ وهو يغرف الخبزة بصحنه:

- «نيرمين الكوافيرة»، ووضع اللقمة في فمه كأنه حديث عادي.

عندما سمعت أم خالد أسم العروس جن جنونها، وقالت له:

- «لك هي مطلقة وأكبر منك بعشر سنين، ولك عمر ولادها قلة فرق من عمرك، لو بتنزل السما على الارض ما بقبل فيها».

وقف خالد والهدوء الذي كان يسيطر عليه إختفى وقال:

- «أول شي أكبر مني بخمس سنين، وإبنها الكبير عمره إتنعشر سنة وأنا بحبها و بدي ياها». ودخل إلى غرفته.

- «خالد،خالد... رجاع عم إحكي معك». نادت أم خالد.

كان الشيخ عمر يراقب ريم التي كانت جالسة بكل هدوء، تنظر إلى الطاولة وكأنها في دنيا أخرى، حتى فاجأتها أم خالد عندما صرخت بها:

- «كل الحق عليك». ومشت وهي تبربس: «حسبي الله ونعم الوكيل».

حركت ريم عيونها صوب حماتها عندما كلمتها، ثم عادت تنظر إلى الطاولة، كأن خبرية خالد قد خدرتها، الشيخ عمر بقي صامتاً قليلاً ، ثم قال لها:

- «الله يهديه!».

نظرت ريم إلى الشيخ عمر ومع إبتسامة هادئة: «قهوة؟».

نظر الشيخ عمر إلى عيون ريم، بلع ريقه، ونظر مجدداً إلى الطاولة كأنه يريد أن يقول شيئاً وغيّر رأيه، ثم وقف وقال لها :

- «رح فوت إحكي مع خالد وبس اطلع بنشرب القهوة».

دخل الشيخ عمر عند خالد، بدأت ريم بتوضيب الطاولة، وكرجت دموعها.

جلس الشيخ عمر على التخت ونظر إلى خالد الذي كان واقفاً ويسند ظهره على طاولة المكياج، وقال له:

- «إدّيه الك معها لهيْ الكوافيرة؟».
- «إسمها نيرمين و إلنا أربعة أشهر».
- «كيف التقيت بهيْ نيرمين؟».
- «إلتقينا عادي».

ضحك الشيخ عمر بسخرية...

- «يعني رحت تساوي شعرك وحواجبك أو هيدا اللي اسمه ...» وهو يطقطق أصابعه أكمل: «مانيكير و بدكير، بس ما تكون عملت سكر عندها؟».

كان يقول جملته وتعابير وجهه تتحول من السخرية إلى الغضب، وأنهى جملته وهو ينظر في عيني خالد بحزم.

- «شوبنا خالي؟ ما إلها لزوم هالمسخرة، أنا بعطي إبنها دروس خصوصي».

- «آه، وبلكن ما قدرت معها كمان، هيْ بنت عمك، سكتت وسترت عليك، بجوز استحت، خافت، بس سكتت، بس هيديك شو بدو يسكتها، إي والله لتفضحك، وتفضح بيّ اللي خلفوك».

جاوب خالد وهو يهز رجله وينظر إلى الأرض: «بكرا بس اتزوجها بتفهم الموضوع».

وقف الشيخ عمر وإقترب من خالد: «ليه مأكد هالقد؟ يعني بس اتزوجت ريم كنت عارف إنك ما رح تقدر؟».

نظر خالد إلى خاله وبلع بريقه، ثم نظر مجدداً إلى الأرض، فأكمل الشيخ عمر:

- «ما ضروري تجاوب، أنا بقلك شو، أنت نمت معها أو بوضعك هي نامت معك... صح؟». و نظر إلى خالد «يعني هي وحدة». حينها انتفض خالد وقال لخاله: «ما بسمحلك».

- «لا خالي، بدك تسمحلي».

وقبل أن يكمل الشيخ عمر، قاطعه خالد: «معليه أنت آخر واحد فيك تحكي، كنت مصاحب رقّاصة».

- «وقف عندك!». صرخ الشيخ عمر ثم أكمل بهدوء:

- «أول شي أنا منّي مزوج، تاني شي أنت قلتها مصاحب، يعني لا حبيتها ولا اتزوجتها، أنت بتعرف وضعي، أنا مطلوب وما بعرف لا أيمتى بفوت بحرب ولا أيمتى بطلع من حرب، كرمال هيك ما اتزوجت، وما رح اتزوج كرمال ما أظلم بنات الناس معي بس أنت عم تظلم بنت عمك».

وقبل أن يرد خالد، دخلت أمه إلى الغرفة وتحدثت اليه بعصبية:

- «شوف أمي! بدك تتزوج؟ أي ما في مشكلة، بس إنك تتزوج نيرمين، هي مش عم تنبلع معي». وأدارت وجهها صوب عمر: «الله يخليك خيّي، فهمه وإحكيه»، ثم وجّهت حديثها إلى خالد: «يا أمي، يا تقبرني، هيْ ما رح فيها تجبلك اولاد، ولك لو ريم بتحبل، كنت قلت اصطفل، بس».

وقبل أن تكمل قاطعها خالد:

- «مين قلك ما فيها تجيب اولاد، ليك وينية عندها ثلاث صبيان، وبعدين أنا أخدت قراري».

- «أكيد هاي خاطتلك، يعني بدي إفهم شو حبّبك فيها، انت قلتها عندها ثلاث اولاد».

- «فهّم إمك شو حببك فيها». قال الشيخ عمر بسخرية.

حينها عصّب خالد: «من أول ما وعيت وأنا عم أعمل اللي بدكن ياه، حلّو عني بقا...». وخرج من الغرفة مسرعاً.

***

عمر يقاوم وريم تستسلم

وهو خارج ضرب بريم التي كانت تحضر صينية القهوة للشيخ عمر، فوقعت ريم واندلقت القهوة بين رقبتها وصدرها، أكمل خالد طريقه إلى الباب من دون أن ينظر وراءه، ركض عمر وأم خالد ليروا ما هذه الضجة، واذ بريم تصرخ:

- «احترقت، دخيلكن الحقوني».

- «ركضي، جيبي تلج». وركع الشيخ عمر إلى جانب ريم التي أزاحت حجابها وفكّت أول زرين من قميصها. كانت تهوّي بيدها، «ما تخافي، وين صار التلج؟».

أحضرت أم خالد جارور الثلج، وقالت: «رح جيب معجون أسنان».

أخذ الشيخ عمر قطع الثلج ووضعها بين رقبتها وصدرها، أخذ يدها بيده ووضعها على الثلج «هديهن» ، ثم أخذ المزيد من الثلج ووضعها على الجهة الأخرى، هكذا غطى الحرق كله، وثبت الثلج بيده وصرخ لأخته:

- «جيبي عسل».

كان الشيخ عمر يشتغل بسرعة، لكنه لم يكن أسرع من دقات قلب ريم لحظتها، كان إحساسها بنفس عمر قريب عليها، أكبر من إحساسها بالحرق، الوجع صار لهفة، وعندما وضع الشيخ عمر يده ليثبت الثلج انتبه لرقبة ريم والجزء الأعلى من صدرها والتقت عيناه بعيني ريم حيث شعر بنفس اللهفة التي كان يحسها، وقف بسرعة ونظر إلى أخته الآتية من المطبخ:

- «خلي الثلج شي خمس دقايق ورجعي حطي العسل».

ذهب إلى الحمام، سند رأسه على الباب واستغفر الله وهو يبلع ريقه، ثم غسل وجهه بالماء ونظر الى المرآة وتحدث الى نفسه:

- «معقول يا شيخ عمر توقع هيك وقعة؟!».

ونظر إلى الأعلى كأنه يصلي وأغمض عينيه واستنجد:

- «دخيلك يا الله، دخيلك يا الله».

كان يتكلم وهو يتنفس بصعوبة، خرج عمر من الحمام، ذهب إلى غرفة النوم ليأخد هاتفه الذي تركه على التخت، وجد ريم واقفة أمام المرآة ولم تكن تضع حجابها، كانت تدهن حرقها بالعسل، أدار ظهره، وبقي واقفاً على الباب:

- «نسيت تلفوني، هو على التخت».

أخدت الهاتف وأعطته له، أخده من دون أن ينظر إليها، ثم توجّه إلى المطبخ ليودع أخته،

- «أختي أنا بدي فل، بدك شي؟».

- «لوين بدك تفل؟ بتكمّل غداك وبترجع تفل، ما بدك تحكي خالد».

- «يا أختي شو بعد بدي إحكيه، من الواضح أنه أخد قراره».

قبّل رأس أخته وبعد أن فتح الباب عاد وأغلقه قليلاً وقال لأخته: «ديري بالك على...» ثم سكت، بلع ريقه وأكمل «حالك» وغادر.

كان عمر يريد ان يوصي أخته بريم، لكنه لم يفعل خوفاً من أن تعتقد أخته أنه يكن المشاعر لريم، لكنه حينها تأكد أنه مغروم بها، غادر منزل أخته وأخد قراره بأنه لن يزورهم إلا عندما تتغير مشاعره، لريم، وزادت زياراته إلى صديقته سوزان الراقصة لينسى ريم.

أما ريم كانت على عكس الشيخ عمر، تنام وتصحو وهي تفكر كيف تتقرب أكثر منه، كيف تستطيع أن تحسسه بحبها، كيف تلتقي به من دون أن يكون أحد في المنزل، كانت تعيش في عالم آخر مليء بأحلام اليقظة التي تجمعها بعمر، حتى نسيت أن خالد سوف يتزوج عليها إلى أن ضج المخيم بالخبر وجاءت والدتها لعند أم خالد.

- «هيك يا أم خالد، هيك عم تكافو لأبو أحمد، تجيبو ضرّة لريم».

- «ليكي أم أحمد، نحنا مشينا بالاتفاق، والله بيشهد أنُ خالد ما قصّر، والشرع محلله أربع».

قاطعتها أم أحمد: «يعني انتي موافقة؟».

- «ما بيصير الا اللي كاتبه الله». خرجت ريم من غرفتها:

- «مرحبا أمي، كيفك؟».

عندما رأت أم أحمد ابنتها أغمضت عينيها وفتحتهما لتنزل دموعها.

- «ما بدا كل هالقد يا أم أحمد، لا بنتك أول وحدة ولا آخر وحدة»...

قالت أم خالد و أدارت ظهرها، ثم أضافت:

- «أنا عندي مشوار صغير، شوي وبرجع، البيت بيتك أم أحمد، قومي بواجب أمك ريم». إرتدت حجابها وخرجت.

- «خلص أمي، روقي، أنا مش مضايقة».

في الحقيقة، كانت ريم تريد أن تلوم أمها و تقول لها:

- «شفتي المستقبل اللي ضمنتيلي ياه».

لكن دموع أمها منعتها من الكلام، وجدت نفسها مضطرة أن تواسي أمها فدعتها للجلوس وأرادت الذهاب لتحضير القهوة.

- «خليكي أمي، أنا ما في اشرب قهوة، راسي كتير عم يوجعني، خايفة يكون الضغط طالع، اقعدي إمي، بدي إحكي أنا وياكي».

جلست ريم وكانت تحبس كلماتها كي لا تجرح أمها:

- «الله يسامحه بيّك، لو هون، ما كان إسترجى خالد يفكر يتزوج عليكي و مين نيرمين، يا دلي أنا، أي والله لتحرمك شوفته، وبعدين وين بدو يسكنا؟!».

لم تفكر ريم بهذا الموضوع، نظرت إلى أمها ورفعت كتفيها وقلبت شفافها بلا مبالاة بأنها لا تعرف!

- «ما سألتي وين بدو يسكنا؟!»... سألتها أمها وهي متفاجئة.

- «ما سألتو شي، أصلاً من وقت ما قال أنه بده يتزوج وأنا وما عم شوفو». قالت ريم.

- «يعني بدك تفهميني إنك ما قعدتي أنتي وياه بعد ما قلك بدو يتزوج، ما جربتي تقنعيه وتغيري رأيه؟!».

– «لشو بدي قنّعو، خلي يتزوج». كانت ريم تتحدث من دون مبالاة وكأنها ليست المعنية بالموضوع.

– «الله يقصف عمرك، أكيد أنتي طفشتيه، في شي وحدة...» وقبل أن تكمل قاطعتها ريم:

– «الله يقصف عمري أنا، مش أنتوا فرضتوني عليه، كل العذاب اللي عم عيشوا من أول ما اتزوجت، أنتو سببه». قالتها ريم بعصبية.

– «أي عذاب عم تحكي عنه، بنات المخيم حاسدينك على عيشتك، أصلاً الله بيعلم، هي عين وطرقتك، بدي اسكبلك رصاصة».

صارت ريم تضحك وتمسح دموعها:

– «ولك على شو بدهن يصيبوني بالعين يا إمي؟!».

– «كل بنات المخيم كانت عينهن على خالد وهو تزوجك، بس والله بدي افهم شو شاف بنرمين؟».

إقتربت من إبنتها وقالت لها بصوت منخفض:

– «ليكي أمي، كيفك أنتي وياه بس تكونوا لحالكن، يعني بقصد العلاقة...؟».

نظرت ريم إلى الارض وقالت لأمها:

– «ما في علاقة».

- «من ايمتى هالحكي؟».

- «من أول ما اتزوجت».

رجّعت أم أحمد رأسها للوراء و قالت:

«شو اتفضلتي، إحكيلي كل شي بالتفصيل، وكيف يعني من أول ما اتزوجتي و لمين الشيشني اللي عندي؟».

بدأت ريم بالبكاء وأخبرت أمها كل شيء وهي ترتجف. كانت أم أحمد تستمع إلى إبنتها مستغربة، ويدها على فمها وعندما إنتهت ريم قالت:

- «وليه لهلق لتخبريني؟».

- «أول شي كنت خائفة، وبعد فترة جربت خبرك، بس ما كنتي تفهمي عليي».

- «والله لأفضحه وشرشحه، بس...». وسكتت أم أحمد وبلعت ريقها، فأكملت ريم «ببطل يعطيكي مصاري».

بقيت أم أحمد صامتة لمدة ثواني كأنها تفكر بشيء ونظرت إلى ريم و قالت لها:

- «والله غريبة!»

- «شو الغريب يا إمي؟»

– «كيف هالمجدوب ناوي يتزوج نيرمين... إذا ما في... إي والله نيرمين بتفضحه بكل المخيم!»

– «والله يا ريت، هيك بتبطل حماتي تعيرني أنه ما بجيب اولاد».

– «لي ما خبّرتي حماتك؟»

– «لأنه أكيد رح تصف مع إبنها وتكذبني، وبعدين خفت يطلقني خالد».

– «إي مزبوط يا إمي، عفاكي، يلا بكرا نيرمين بتفضحه... بس وين رح يسكنوا؟».

– «بسألو».

– «لا إنتي ما تسأليه شي، إسألي حماتك، وبعدين ما تجيبي سيرة هالموضوع لحدا، بكرا بس تفضحه نيرمين رح يرجعلك متل الكلب حتى تستري عليه».

– «ماشي».

ذهبت أم أحمد ودخلت ريم إلى المطبخ تحضّر العشاء وكانت تفكر لماذا الشيخ عمر لا يزورهم، وعندما أتت حماتها سألتها:

«دخلك مرة عمي، كيفه الشيخ عمر؟ إلو زمان ما إجا لعنّا!»

– «إي مزبوط، الله يسامحه خالد، عمر فل زعلان المرّة الماضية، هلق بس يجي خالد رح خليه يحكيه يجي بكرا يتغدى عنا».

إبتسمت ريم ونظرت إلى حماتها كأنها فجأة تذكرت... «مزبوط مرة عمي، وين خالد رح يسكّن نيرمين؟».

– «وين يعني بدو يسكنها! معنا هون، إنتي بتنقلي على غرفتي».

– «واولادها وين رح يساعهن؟». قالت ريم مع انزعاج واضح على وجهها.

– «شو اولادها ما اولادها، هيدا اللي كان ناقصني، قرود نيرمين... بس فوقتيني، هلق بس يجي بدي إحكيه».

– «لا مرة عمي بلا ما تسأليه الليلة، أحلى ما يعصّب ويبطل يحكي الشيخ عمر».

– «معك حق، صايرين، بدنا نحمل القاموس ونحنا عم نحكي معه».

جلست ريم وحماتها لمشاهدة التلفاز، كانت ريم تنتظر خالد بلهفة، عندما وصل خالد، ركضت ريم وسألته: «بحطلك تتعشى؟».

– «تعشيت». جاوب خالد ببرودة، لكنه كان متفاجئاً بإستقبال ريم، ثم نادته أمه:

– «خالد تع إمي شوي، عايزتك».

– «خير إمي شو بدك؟» وأخد نفس عميق، كي يبين أنه تعبان «بما أن بكرا السبت، إتصل بخالك، خليه يجي يتغدى معنا».

– «طيب ما اتصلي فيه إنتي؟!».

- «أنا إتصلت فيه كذا مرة، بس ما عم يقبل عزيمتي، يمكن زعلان، آخر مرّة فل مكسور خاطره، وبعدين على كل الحالات، إنت لازم تعتذر منه».

- «بس أنا بكرا مشغول». قال خالد، لكن ريم ردت قبل أن يكمل جملته:

- «بس أنا و مرة عمي ما عنا شي بكرا!».

نظر خالد إلى ريم بلامبالاة، ثم إلى أمه وقال:

- «تصبحي على خير».

حينها وقفت أم خالد وقالت له:

- «والله إذا ما دقيت لخالك وطيبتله خاطره، رح أغضب عليك، ما بيصير تزعل الشيخ عمر..!».

- «خلص إمي، بكرا الصبح بحكيه، هلق الوقت متأخر».

- «بكرا بكير، وأوعى تقبل ما يجي، رح ساوي محاشي». وعادت إلى متابعة مسلسلها.

- «حاضر إمي، وهلق صار فيي نام؟!»

- «تصبح على خير.».

عندما دخل خالد إلى غرفته، جلست ريم إلى جانب حماتها وقالت:

- «أولك رح يجي الشيخ عمر؟!».

- «والله ما بعرف».

- «الله يسامحه خالد، والله ما بيصير يزعله للشيخ عمر». وقبل أن تكمل قاطعتها أم خالد:

- «خلصنا ريم، خليني أعرف أحضر مسلسلي».

سكتت ريم وراحت تفكر ماذا ترتدي وتصلي أن يأتي الشيخ عمر.

***

عمر يخسر حربه

أفاقت ريم باكراً، نظّفت البيت، ساعدت حماتها على المحاشي، حضّرت حالها وتعطرت، وقفت أمام المرآة تتأمل وجهها وتجرب كذا لفة للحجاب لحين نادتها حماتها:

- «ولك شو صار معك، بدي استعمل الحمام».

- «يلا يلا مرة عمي، خلصت».

عندما خرجت ريم، نظرت إليها حماتها بتعجب، وقالت : «لو عروس كنتي خلصتي». ودخلت إلى الحمام وهي تقول لنفسها: «المسكينة، عم تهتم بحالها كرمال خالد، وهو بغير دني».

ما إن دخلت حماتها إلى الحمام حتى دق الباب، ركضت ريم فتحت الباب، وبضحكة تشبه فرحة الطفل برؤية أمه سلّمت على الشيخ عمر: «اهلا وسهلا...» وبقيت واقفة مكانها مقابل الشيخ عمر مسكرة المدخل ولم يستطع الشيخ إلا أن ينظر إلى عيون ريم التي كان يرى فيهما سحراً غريباً، وبكل رواق قال لها:

- «كيفا ريم؟» وكأنه يريد أن يخفي مشاعره خلف هذا الهدوء.

- «هلق صرت منيحة».

فجأة سمعت صوت أم خالد وهي تمشي صوبهما : «شو بكي يا ريم، زيحي من الباب، خليني شوف حبيب قلبي وعيوني ...».

وقفت ريم جانباً وإقتربت أم خالد تقبّل أخيها مثل الأم تقبّل إبنها عندما يعود من السفر.

«هيك بتقطعني، أنا ما صدّقت أيمتى هدي الوضع حتى صير شوفك متل العالم والناس، بتقوم بتغيب عني...»، وأخذت بالبكاء. غمرها الشيخ عمر: «حقك عليي، بس والله ظروف».

تأثرت ريم بمشهد أم خالد و الشيخ عمر وأخذت تبكي:

- «حاجي واقفين على الباب، خلينا نفوت».

نظر إليها الشيخ عمر ومن دون وعي وضع أصبعه تحت عينيها ومسح دموعها:

«وانتي ليه عم تبكي؟».

عندما احمرّ وجه ريم، إنتبه الشيخ عمر لنفسه واستحى وعصّب من نفسه كيف ترك مشاعره تتحكم به ونظر إلى أخته بسرعة وسألها عن خالد حتى لا تنتبه لما حدث:

«شو وينو خالد؟».

- «يلا ريم دقيلو لخالد».

- «إي مرة عمي، هلق بحكي خالد وبرجع حط الركوة على النار».

أغلقت الباب ودخلت إلى المطبخ والفرحة لا تسعها. أما عمر فاختلطت الأمور عنده، كان فرحاً برؤية ريم، وبنفس الوقت خائفاً من أن تكون أخته أحست بشيء، كان ضميره يعذبه، صار يخلق الحديث مع أخته حتى يشتت فكره عن ريم.

وصل خالد وسلّم عمر عليه كأن شيئاً لم يكن، جلسوا يتحدثون عن وضع المخيم والسياسة في لبنان، عندما دخلت ريم وأم خالد إلى المطبخ. سأل عمر خالد:

«قيمنا من السياسة، شو خال، ايمتى نويت تردّها لنرمين؟».

- «انشالله أول الشهر الجاي». جاوب وهو ينظر إلى الأرض وعندما أحس أن خاله لم يعلق، أكمل:

- «ما رح نعمل عرس، بس كتب كتاب».

هز الشيخ عمر برأسه كأنه موافق على ما قاله خالد وقال: «وين رح تسكنوا؟».

نظر خالد إلى خاله متفاجئاً بسؤاله: «أنا كنت ناوي استأجر أو عمّر غرفة بس نيرمين ما قبلت».

سكت قليلاً وعندما وجد خاله ينظر إليه منتظراً الجواب، أكمل وهو مرتبك: «بتعرف كرمال ولادها،» بلع ريقه وأكمل: «على الأرجع أنا أسكن معها».

إبتسم عمر بسخرية وقال «قصدك»، وسكت عمر قبل أن يكمل جملته، كان يريد أن يقول «عندها»، لكنه فضّل أن لا يجرح إبن أخته ويظل الجو هادئاً. ليغير الموضوع سأله:

- «دخلك شو عاملة إمك أكل؟».

وقف خالد وقد أتته فرصة حتى يهرب من خاله ومن الإحراج.

- «رح قوم شفلك؟».

ترك خالد خاله وبدل أن يدخل إلى المطبخ، دخل إلى غرفته وولّع سيجارة، صحيح أن عمر لم يقل شيئاً، لكن سؤاله عن السكن أحرج خالد.

أما عمر فقد سند رأسه على المقعد وولّع سيجارته، فجأة رأى ريم تقف مقابله وهي تبتسم له، نظر إلى عيونها مباشرة وابتسم، وعندما سمع صوتها:

- «شو وينه خالد؟».

إنتبه لنفسه وأيقن أنه لا يحلم، جلّس رأسه، وضع سيجارته في المنفضة، وأخذ الركوة بيده وجاوبها وهو يركّز على ركوة القهوة ويحرّكها حتى لا ينظر إليها.

- «بالمطبخ، راح يسأل أم خالد شو عاملة أكل؟».

إقتربت ريم وانحنت فوقه ونظرت إلى الركوة ولم يبق شيئاً من القهوة إلا تفل.

- «يي هاي خلصت، أعطيني ياها، رح أعملك ركوة تانية، بس والله بسمع إنُ كتر القهوة بضر».

عندما إقتربت منه ريم وكلّمته، كان يشم رائحتها، يحس بنفسها، تمنى لو كان بإمكانه أن يغمرها ويقرّبها منه أكثر، تمنى أن يجلسها بحضنه، يقبّل فمها ورقبتها وقبل أن يتمادى أكثر بأمنياته، وضع الركوة من يده، أخذ نفساً عميقاً، واستغفر الله بسره.

وقفت ريم مكانها، وبنبرة خوف قالت: «خير شيخ عمر، فيك شي؟». وقرّبت وجهها صوبه. من دون أن يتكلم، حرك رأسه مع ابتسامة بوجه ريم، بقصد أنه بخير.

«رح جبلك ماي».

عندما خرجت من الغرفة، وقف الشيخ عمر وأخذ نفساً عميقاً وصار يكلّم نفسه:

- «دخيلك يا الله، شو اللي عم بيصير معي؟!».

فجأة سمع صوت أخته: «خير تقبرني، خير شو فيك؟» وكانت ريم وراءها تحمل كأس الماء،

«ما شي أختي، ما ينشغل بالك». وأكمل حتى يغير الموضوع: «شو وين صار الأكل؟».

ردت ريم: «أنا جيت عيطلكن، حطينا الطاولة». أطل خالد من وراء ريم، بيده ورق عنب وفمه ملآن طعام.

«يلا خال، والله محاشي بتاكل أصابعك وراهن».

نظرت ريم إلى خالد وسألته: «وين كنت؟»

إرتبك خالد: «يعني وين بدي كون، فتت على الحمام، يلا ناكل، خوّرنا». ووقف إلى جانب الباب.

ناولت ريم الشيخ عمر كوب الماء وذهبت إلى المطبخ، حينها نظرت أم خالد إلى إبنها وقالت له:

«بالحمام قلتلي؟!». ثم نظرت إلى أخيها وقالت له:

«أكيد كان على التلفون معها».

إرتبك خالد ونظر إلى أمه بغضب، إلا أن الشيخ عمر طرّى الجو عندما غمز خالد و قال لأخته: «هي أول مرة بجوع عندك».

- «ييي انشالله بموت». وقبل أن تكمل قاطعها عمر سريعاً وغمرها وقال لها:

«بعيد الشر عنك، انشالله يومي قبل يومك». واتجهوا نحو الطاولة.

«لا ما تقول هيك، والله ما بقى بدي شي من هالدني إلا إفرح منك وشوف اولاد خالد». وجلسوا إلى الطاولة وريم بقيت واقفة لتصب الطعام في الصحون، بعد أن صبّت للكل وهي تصب صحنها، قال خالد:

- «شو خال، هي أول مرّة إمي بتجبلك سيرة الزواج وما بتعارض؟!».

- «الله كريم خال».

نظرت أم خالد إلى عمر وقالت له: «إي والله لزوّجك ست الستات». وما إن انتهت من جملتها حتى نقزوا كلهم من صوت صحن ريم الذي وقع من يدها وانكسر.

وقف خالد من مكانه بسرعة ونظر إلى ريم التي بقيت واقفة مكانها وعيونها تدمع، تنظر إلى الصحن الذي انكسر على الأرض: «ولو شو بكي؟ شو صرلك ؟» وبدأ يلم الزجاج.

«أوعا إيديك إمي، إنتبه! ولك ريم شو بكي مسّمرة، جيبي نظفيهن؟!».

أما عمر فنظر إلى ريم وإنتبه إلى دموعها: «حصل خير»، ثم عاد لينظر إلى صحنه. نظرت إليه ريم وقالت:

«عنجد بدك تتزوج؟»

بلع عمر ريقه وبقي ينظر إلى صحنه، وقبل أن يجاوب خلّصته أخته من هذا الموقف المحرج:

«ولك ريم شو صرلك؟ نظفي الأرض ورجعي سايري».

أدارت ريم ظهرها، دخلت إلى المطبخ ووجدت نفسها تبكي، عندما لحقها خالد ليرمي الزجاج،

«شو في ليْه عم تبكي؟»

«ما شي، انقهرت كيف كسرت الصحن». وهي تمسح دموعها.

- «بسيطة ما بدها كل هالقد، منيح اللي ما حدا صرلوا شي».

- «الحمدالله».

نظفت ريم الأرض، ودخلت تغير ثيابها، كان الشيخ عمر فتح موضوع وضع المخيم حتى يهرب من سيرة الزواج، وليتجنب الحديث بموضوع زواج خالد أمام ريم. رغم أنهم إنتهوا من الطعام، بقوا جالسين حتى إنتهت ريم التي كانت تأكل وهي صامتة طوال الوقت.

طبعاً لم يكن عمر يفكر بالزواج، لكنه سكت ولم يعارض مثل العادة شعوراً منه بأن أحداً قد يحس بمشاعره اتجاه ريم وفكرة زواجه قد تبعد أي شك، عندما أوقعت ريم الصحن وسألته إذا كان يريد الزواج، تأكد عمر أن ريم تحبه وحينها إستغرب شعوره بالسعادة والارتياح، رغم تخبطه بين هذا الارتياح والخوف من هذا الحب. وبينما كانوا يأكلون الفواكه، فتحت أم خالد موضوع الزواج مع عمر مجدداً.

- «أي خواجة عمر، يلا قلي بدك ياها شقرا او سمرا؟».

نظر عمر بعفوية سريعة إلى ريم ورآها تنظر إليه نظرة حادّة وجدية منتظرة جوابه، أدار رأسه صوب أخته وهذه المرّة ما كان يحسب حساب شيء إلا مشاعر ريم: «أختي، أنا ما بدي اتزوج». ثم نظر إلى ريم التي ابتسمت مع بريق بعينيها.

«ييي على هالحكي، قبل فهمنا، بس هلق الوضع اختلف، والحمدالله الكل ملتزم بالهدنة».

- «خلصنا أختي، ما بتعرفي أيمتى الوضع بينفجر! أنا شلت فكرة الزواج من راسي». ونظر إلى خالد الذي كان منشغلاً بهاتفه من لحظة إنتهاء الطعام.

- «شو بعد ما خلص هالشات»؟ وضع خالد الهاتف جانباً. طلب عمر من ريم قهوة، فقامت سريعاً لتحضيرها.

حينها سأل عمر خالد: «دخلك في شي أخبار عن عمك؟».

- «لا والله، يا خالي».

- «انشاالله خير ودخلك شو ردة الفعل على زواجك؟».

- «ريم ما عارضت ولا حتى عم تعلق على الموضوع».

وما إن أنهى خالد جملته حتى ردت أم خالد: «أي بس مرة عمك عارضت، إجت لهون وبلشت تبهدل، بس أنا وقفتها عند حدها».

- «انتبه خالد، ما تخليهن يعتازوا شي وإذا منك قادر، أنا جاهز». رد عمر. «معليك خال، الحمدالله في».

وقبل أن تعلق أم خالد، أحضرت ريم القهوة. شربوا القهوة وودعهم الشيخ عمر. وقبل أن تدخل ريم إلى غرفتها، ناداها خالد وأخبرهم عن موعد كتب الكتاب، وأنه سوف يسكن في منزل نيرمين.

طبعاً أم خالد جن جنونها، إلا أن ريم أعجبتها الفكرة، هي كانت خائفة أن تضطر أن تنام مع حماتها، أخيراً إستطاع خالد أن يقنع أمه بقصة أولاد نيرمين التي طبعاً إذا سكنت معهم، سوف يأتى أولادها أيضاً.

في هذه الفترة، كان تعلق عمر بريم يزيد، وكلما حاول أن ينساها، كان يراها بالمنام بلا حجاب، تضحك له وتناديه، حتى عشيقته الراقصة سوزان إنتبهت وقالت له:

«اخ يا عمر، شو اتمنيت تحبني، بس كنت قول، الشيخ عمر مسكر قلبه بالمفتاح، بس شكلك وقعت يا شيخنا».

هز برأسه عمر: «والله يا سوزان وقعت وقعة سودا».

«إي نيالها اللي وقعتك هالوقعة، انت الشيخ عمر، ما في بنت إلا ما بتتمناك...».

ضحك عمر بسخرية وقال لها: «الشيخ عمر واقع بمصيبة!».

«فهمّني يمكن أقدر ساعدك؟!».

«ما في غير الله بيقدر يساعدني».

«إي لكن شيل من أيدك هالكاس وسيجارة الحشيشة، يمكن يرضى عنك ويساعدك!»، وهي تضحك،

- «ولك ما في غير هالكاس وهالسيجارة ينسوني اللي أنا فيه».

***

زواج خالد

جاء يوم كتْب الكتاب، أقام خالد حفلة صغيرة، حضر الشيخ عمر مع أخته، ومن طرف نيرمين لم يكن هناك أحد إلا اثنان يعملان معها في الصالون، بما أن أهلها متوفون وأخاها مسافر مع عائلته وهو على خلاف معها.

أم خالد لم تكن راضية أبداً بالعروس الجديدة، ليس فقط لأنها كبيرة ومطلقة وعندها أولاد، بل ايضاً لأن شخصيتها كانت قوية جداً، ولا تعرف الخجل، وياما كان يتجمّع الحي على صراخها عندما كانت تختلف مع طليقها وأهله الذين تركوا المخيم كي يرتاحوا من لسانها. لم تنسى أم خالد مشاكل نيرمين مع أخيها وعائلته بعد وفاة والدتها .

- «دخلك ريم شو عاملة؟. سأل عمر أخته.

«عند أمها، بس والله غريبة هالريم!»

«ليْه؟»

«شو بعرفني، ردة فعلها مش طبيعية، ما تأثرت ولا حتى علقت على زواج خالد، كأنه اللي عم يتزوج ما بخصها، مش زوجها!». صمتت أم خالد قليلاً ثم أضافت: «بتعرف عمر، لو منها ساكنة معي وبشوفها، كنت قلت أنها بتحب شي واحد».

تشردق عمر بريقه عندما سمع أخته،

- «صحة، صحة»، وهي تدق على ظهره وأكملت: «بس يمكن بتخاف خالد يزعل، يقوم يوقف يساعد أمها».

«أي أكيد هيك!»، قال عمر وهو مرتبك ويبلع ريقه.

كان عمر سعيداً بهذه الخبرية، هذا الشيء أكد له أن ريم تحبه، فهي على سيرة زواجه، دمعت عيناها وحزنت، بينما لم تتأثر أبداً بزواج خالد لأنه لا يعني لها شيئاً، قبل أن يستطرد بسعادته بهذا الاستنتاج تذكر إذا كانت ريم تبادله الحب، فهذا يجعل الوضع أصعب بكثير.

أما ريم كانت تتخيل ما الذي سيحصل الليلة، أكيد سوف ينفضح أمر خالد وهكذا ستطلب الطلاق وحينها ستعترف لعمر بحبها ولا شيء سيمنعها من الزواج به، إلى أن قاطعت أمها تفكيرها عندما سألتها:

«يا خوفي يا ريم تقوم نيرمين تمنعه يساعدنا، هلق صيفيه بس بكرا بالشتي شو منعمل؟».

«ولك يا أمي ما تخافي، من كل عقلك نيرمين رح تضلها مع خالد، أسبوع ورح تتركه».

- «شو بعرفني يا إمي، قلبي مش مرتاح!».

«وبعدين دخلك إذا وقّف يساعدكن، ساعتها بتركو».

نظرت إليها أمها وقالت:

«مش عارفة إذا بضحك أو ببكي عليكي يا إمي، يعني اللي بيسمعك عم تحكي بقول إنُ خالد مستحيل يزعلك، ما هو مش شايلك من أرض».

أخذت نفساً عميقاً وأكملت: «أوف يا إمي، مش يمكن هو متمني تتركيه، ليك وينو عم يتزوج عليكي وبعد ما طبقتوا السنة».

بصوت مكسور جاوبت ريم أمها: «لا إمي، لا تبكي ولا تضحكي، بترك خالد وبرجع بتزوج، مش رح يخلصوا الرجال عند خالد واللي بتزوجه بشطرت عليه يساعدك».

ردت أمها وهي تضحك بسخرية:

«يادلي عليكي يا بنتي، على أساس العرسان مقتلين بعضهن، وبعدين رح أفترض أنُ رح يجيكي عريس، إي رح يكون معتر أكتر منا، وعي يا إمي وعي».

عصّبت ريم من حديث أمها: «أنا فايتة نام».

حزنت أم أحمد على إبنتها، لكنها فضّلت أن تقول الحقيقة ولا تدع إبنتها تعيش بأوهام،

«ما تزعلي مني، بس لازم تكوني عارفة وضعك ووضعنا، مش عايشة بالوهم».

«لا إمي، ما تخافي عليي، أنا عارفة شو الوضع، أنتوا إشتريتوا خالد بس هلق صار هو بيملكني». ودخلت تنام.

لم تستطع أم أحمد أن تعلق على كلام إبنتها ودخلت نامت بجانبها وغمرتها وقالت لها:

«والله يا ريت طالع بإيدي شي يا إمي!».. سمعت ريم أمها لكنها لم تعلق.

عادت ريم في اليوم الثاني إلى بيت عمها، كانت تريد أن تسأل حماتها عن حفلة كتب الكتاب، لكنها استحت وخافت أن تسمع أي كلمة تجرحها.

في نفس اليوم أتت أم زينب لتبارك لأم خالد وتعرف الأخبار، فعرفت ريم كل شيء وتفاجأت كيف حضر الشيخ عمر وعندما سألت حماتها، أخبرتها أن هي طلبت منه وضغطت عليه.

أم خالد كانت تتكلم عن كتب الكتاب بقهر، فهمت ريم أن خالد كتب مؤخراً عالياً، لكن أم خالد حرصت ألّا تعرف ريم الرقم، ريم كان عندها حشرية لتعرف كم كتب خالد لنرمين، إلا أن اهتمامها بهذا الموضوع تلاشى عندما فتحت أم زينب موضوع الشيخ عمر:

«وايمتا بدنا نفرح من الشيخ عمر؟».

«ياي يا أم زينب، غلبت فيه، بس مش ر اضي أبداً».

«مع أنه الحمدالله زال الخطر عنه، ليك وينه عم بيروح ويجي، إي والله أي باب بدقه رح ينفتحله، ما في ولا بيت إلا ما بحب يصاهر الشيخ عمر». ردت أم زينب.

«والله بعرف، بس الله يهديه».

«ليكي أم خالد، إنتي دليه وفرجيه صور».

«ويمكن فرجيه شي صورة وتعجبه وما يوافقوا أهلها ومش حلوة كمان أطلب صورة شي بنت وما تعجبه وإنحرج قدام أهلها».

«طيب، دليه على بنتي زينب!».

«والله يا ريت، أي زينب ما في منها، بس الله يهديه».

من بعد هذا الحديث إنشغل بال ريم، كانت تريد أن تخبر حماتها أن زينب تتكلم مع شاب على الفيس بوك إلا أنها ترددت كي لا تؤذي زينب.

***

مقابلة نيرمين

بعد مرور يومين أتى العرسان خالد ونيرمين عند أم خالد، كانت ريم في غرفتها تحضّر نفسها، عندما دخل خالد لعندها:

- «صباح الخير، كيفك؟».. وكان يضحك.
- «الحمدالله».
- «نيرمين حابة تتعرف عليكي».
- «ما نحنا منعرف بعض».

- «أي مزبوط، بس بتعرفيها من بعيد، يعني ...».

قاطعته ريم: «أي ما بعرفها كضرّة» جاوبته بلأمنة.

أخذ خالد نفساً عميقاً وسحب من جيبه خمسين ألف ليرة لبنانية، ومدّ يده ليعطيها لريم، لكن ريم بقيت واقفة تمشط شعرها ولم تمد يدها. قرّب حينها خالد ووضع المال على الطاولة مقابلها، أدار ظهره وقبل أن يخرج، توجه نحو ريم ليعتذر منها لكنه لم يستطع أن يقول شيئاً.

خرجت ريم تسلّم على ضرّتها، نيرمين كانت طويلة وجسمها معبى شوي، بيضاء، شعرها مصبوغ أحمر ومفرود حتى نصف ظهرها، حواجبها تاتو رفيع، ترتدي فستاناً أحمر نصف كمْ، يصل تحت الركبة بقليل، وقد شدّته على الخصر بحزام أسود عريض، أكثر شيء لفت نظر ريم الخلخال، كانوا قلائل الصبايا اللواتي كنّ لا يلبسن الحجاب في المخيم، كانت نيرمين ملفته للنظر بطريقة لبسها وكثرة مكياجها.

إستغربت ريم الإنسجام بين خالد ونيرمين، صحيح أن فرق العمر كان واضحاً بينهما، لكن لم تستطع ريم أن تنكر جمال نيرمين، لم تستطع أن تقول أي شيء، لتهرب ريم من هذا الوضع المحرج لحقت حماتها إلى المطبخ.

- «بشو بساعدك؟».

- «ما شي، ناطرة عمر ليوصل لحط الأكل، خدي جاط الفواكه فوتيلن ياه».

أخذت ريم الفواكه، كانت سعيدة أنها سترى عمر. بعد قليل وصل عمر وجلسوا لتناول الطعام، كان الجو متوتراً واقتصر الحديث على العموميات حتى سألت نيرمين الشيخ عمر:

- «أيمتى الشيخ عمر رح يفّرحنا فيه؟».

- «انشالله عن قريب» جاوبت أم خالد.

نظرعمر إلى أخته وضحك: «اه والله،...» وقبل أن يكمل قاطعته أم خالد «القصة مش على ذوقك، رح زوجك يعني رح زوجك، واصلاً نقيتلك العروس».

- «كمان...» جاوب عمر وهو يضحك وصاروا كلهم يضحكون ما عدا ريم التي كانت تشعر أنها مخنوقة واستأذنت عن الطاولة بحجة ان رأسها يؤلمها.

«بس بعد ما خلصتي صحنك!»... قالت لها أم خالد

- «معليه مرة عمي راسي كتير واجعني».

«إذا بدك أنا معي بانادول، بعطيكي.» ردّت نيرمين.

ارتبكت ريم، لم تعرف بماذا تجاوب، قامت نيرمين وأحضرت حقيبتها وأعطتها البانادول .

«يسلموا»... أخذت ريم البانادول وناولها عمر إبريق الماء وكان مبتسماً ليطمئنها، جلست ريم غصب عنها، كان الكل يعتقد أنها منزعجة من زواج خالد، أما هي كانت مقهورة على حالها وعلى حظها ومن سيرة زواج عمر.

عندما أنهوا الطعام استأذن خالد ونيرمين لأن نرمين تركت الأولاد عند صديقتها. عندما غادروا طلبت أم خالد من ريم ضب الطاولة مثل العادة وتحضير القهوة، وجلست تشكي همها لأخيها:

«شفتها، شفت البلوة اللي جبلي ياها خالد، شفت هالمنظر وهاللبس، أي والله والله لو أبو خالد كان عايش، كان شحته إله وياها من البيت»... صمتت قليلاً ثم أكملت «وما استحت، قال شو بدهن يروحوا بكير كرمال الأولاد!».

«خلص أختي روقي، ما بيسوالك التعصيب، والله أنا حرقتلي قلبي ريم».

«أي والله يا عمر، أنا زعلت عليها كتير، والله اليوم كان مبين عليها القهر، بس ليك خيي، هي الحق عليها، ما عرفت تخليه يحبها، شفت كيف دنقان فيها لنرمين!».

كان عمر يريد أن يدافع عن ريم، لكنه قرر أن يبقى صامتاً، فأخته كانت مزعوجة كثيراً، ولم يكن يريد أن يزيد على قلبها.

جلسوا يشربون القهوة، كان الصمت مسيطراً، أم خالد لا تريد أن تتكلم عن خالد ونيرمين أمام ريم، عمر كان مقهوراً على ريم ولم يعرف ماذا يقول لها، أما ريم كانت محتارة، هناك شيء تريد قوله لعمر، وما إن قامت حماتها إلى الحمام حتى قامت ريم وجلست على الكرسي إلى جانب عمر.

- «عمر، بدي قلك شي».

أحس عمر كأن قلبه سيقف عندما سمع إسمه من ريم، هذه أول مرّة تناديه ريم بإسمه،

عندما قرّبت وجهها صوبه أكثر وخفضت صوتها: «أم خالد بدها تزوجك زينب، بس أوعا تقبل».

الشيخ عمر سرقته اللحظة ونسي حاله وقرّب أكثر صوب ريم وهمس «ليه؟» أكملت ريم وخفضت صوتها أكثر «لأنها عم تحكي مع واحد على الإنترنت». ونقزت ريم عندما سمعت صوت أم خالد التي وقفت على الباب متفاجئة:

«على شو عم تتوشوشه؟!» وهي عابسة!

حافظ عمر على هدوئه ونظر إلى أخته: «تعي اسمعي كنتك أختي».

نظرت ريم إلى عمر وفنجرت عيونها، لكن عمر أكمل بالرغم من نظرة ريم.

«كنت فيكي، بس هلق صرت فيكي وبكنتك، شكلك عم تمرنيها منيح!».

اقتربت أم خالد وقالت له وهي تجلس «ما فهمت، شو قصدك؟».

«كنتك بدها تزوجني زينب!».

ابتسمت ريم ونظرت إلى حماتها التي صارت ضحكتها ملو وجهها: «برافو عليكي يا ريم، إي والله زينب بتقول للقمر قوم لأقعد محلك، خبريه ريم، خبريه».

وقف عمر من مقعده: «ما زال اتفقتوا عليي، خليني قوم امشي بقا».

فرحت ريم أن عمر لم يفضحها أمام أم خالد، وخرج عمر من عند أخته وهو يحكي مع حاله:

«الحمدالله زمطنا، يالطيف، شد حالك ياعمر، إنت الشيخ عمر، ما حدا كسرك، رح تخلي الحب يكسرك!».

***

طول الصيفية كان خالد ينام ليلة ببيته وليلة عند نيرمين، التقت ريم ونيرمين كم مرّة، عرفت ريم من خالد أن نيرمين تعرف كل شيء عن علاقتهما. كان الوضع على حاله حتى بدأ خالد المدرسة، صارت زياراته تقل إلى أن أصبحت مرتين في الأسبوع.

طبعاً ريم لم يكن يفرق معها إلا أن لا يتأخر خالد على أمها بالمال، لكن أم خالد كانت تشكو دائماً من قلة زيارات خالد الذي كان يبرر غيابه بالدروس الخصوصية، وحينها تلطش ريم أن خالد يتعب بالدروس الخصوصية حتى يساعد أمها.

كل هذا الوضع كان طبيعي بالنسبة إلى ريم إلى يوم أتى خالد ونيرمين نهار سبت لعندهم، وإتصل بخاله كي يلاقيهم، كان يحمل معه كنافه. عندما اجتمعوا كلهم، أخبرهم خالد أن نيرمين حامل والكنافة حلوينة الخبرية، أم خالد زلغطت وقامت قبّلتهم وهي تبكي من فرحتها، أما ريم نظرت إلى نيرمين وسألتها:

«كيف يعني حبلتي؟» ونزلت الدموع من عينيها.

نيرمين وخالد وعمر استطاعوا أن يفهموا كيف أتى سؤال ريم، لكن أم خالد لم تستوعب سؤال ريم، بالنسبة لها كان يجب أن تقول مبروك. نظرت إلى ريم وقالت لها بعصبية:

- «خمسة بعيونك، أعوذ بالله من شر ما خلق، عم تحسديهن بدل ما تسمي بالرحمن وتباركيلهن!»

نظرت ريم إلى الأرض ولم تستطع أن تسيطر على دموعها التي كرجت سريعاً وركضت إلى غرفتها وهي تشهق بالبكاء.

- «درب يسد ما يرد»... قالت أم خالد، أخدت نفساً عميقاً ونظرت إلى خالد ونيرمين، بسطت وجهها وقالت لهم: «نزعتلي فرحتي»... وقبل أن تكمل قاطعها عمر:

- «خالد، لازم تحكي مع ريم».

- «شو يحكي مع ريم، تشكر ربّها ما طلقها، حسبي الله ونعم الوكيل فيها» ردت أم خالد.

نظر عمر إلى أخته وقال لها بعصبية «أم خالد، في إشيا كتير إنتي ما بتعرفيها» نظر إلى خالد وما زال غاضباً وأكمل «وخالد لازم يفهّم ريم مرته (وشدّد على كلمة مرته) شو صار معه» خالد بقي صامتاً، لكن نيرمين وقفت «رح إحكي أنا مع ريم».

نظر إليها عمر وسألها: «ليه أنتي بتعرفي شو لازم تحكي مع ريم؟».

جاوبت نيرمين الشيخ عمر بلأمنة: «أنا اللي بعرف شو صار مع ريم، وعلى فكرة يا شيخ عمر، انت بعد ما هنيتنا...» وهي تبتسم بخبث!

- «مش ألف، مية ألف مبروك، وانشالله منشوف ياسر عم يلعب بهالدار هو وأخواته». رد عمر.

دخلت نيرمين إلى غرفة ريم، كانت ريم نائمة على التخت تبكي وكان ظهرها للباب، أدارت وجهها لترى من دخل الغرفة وتفاجأت عندما رأت نيرمين تبتسم لها، قبل أن تسأل أي شيء بدأت نيرمين بالحديث وهي تجلس قربها.

- «بعرف أنُ اللي عم بيصير معك ظلم، بس بدي ياكي تعرفي إنُ لا أنا ولا خالد ظلمناكي، خلينا نقول النصيب».

جلست ريم وهي تمسح دموعها: «جاوبيني كيف حبلتي؟»... ضحكت نيرمين من براءة سؤال ريم.

- «ما تضحكي، أنا بعرف أنه خالد عنده ضعف وما بيقدر... وخالد قلي إنك بتعرفي».

- «يا ريم، خالد ما بيقدر معكي، بس أنا وياه علاقتنا كتير طبيعية متل كل اتنين مزوجين». إنصدمت ريم بجواب نيرمين لكنها لم تقتنع «كيف يعني؟».

- «أنا وخالد حبينا بعض»... سكتت قليلاً كي تجد الكلمات المناسبة «بس إنتي بتعرفي إنه زواجكن كان نتيجة إتفاق بين بيّك وأبو خالد الله يرحمه، وخالد التزم بس هو ما قدر يحبك ويمكن كرمال هيك ما صار بينكن شي».

بعد أن لاقت ريم لم تعلق بكلمة، أكملت «بس إنتي فهمّيني، كنتي مفكرة إنُ أنا وخالد ما عم... بتعرفي شو قصدي».

هزت ريم رأسها «كنت متوقعة تعمليله جرصة من تاني يوم وبس ما صارت، قلت يمكن تزوجتيه كرمال حكي الناس، هيك ما بقولو مطلّقة...».

إبتسمت نيرمين «إنتي برأيك أنا سألانه عن حكي أهل المخيم، أنا يا ريم بس كنت صغيرة مثلك، انظلمت كتير وهيدا الشي قواني وخلاني صير نيرمين اللي بخافوا منها الكبار قبل الصغار».. سكتت نيرمين عندما دخل خالد.

وقفت نيرمين واطلعت بخالد وهزت برأسها كأنها تقول له أن المهمة أُنجزت وخرجت من الغرفة، قبل أن تصل إلى الباب نادتها ريم وباركت لها، ضحكت لها نيرمين وشكرتها، بقي خالد واقفاً على الباب ونظر إلى ريم التي قالت له:

- «ما زال ما حبيتني، ليه قبلت تتزوجني؟».
- «لأنه كان من سابع المستحيلات أكسر وعد بيي».
- «طيب ليه ما قدرت تحبني؟ أغلب صبايا المخيم بيتزوجوا عالدّلة، ليك وينن صار عندهن أولاد، وما أحلاهن مبسوطين».

جلس على التخت وقال لها «يا ريم أنا طول عمري كنت شوفك أختي الصغيرة، ربوني على هيك وفجأة إجو قالولي بدك تتزوجها وأنا والله جربت شوفك مرتي بس ما قدرت، بالعكس وقتها كرهتك كتير وكرهت حالي».

حديث خالد ريّحها كثيراً، أعاد لها ثقتها بنفسها، لكن بالمقابل كرّهها أكثر بأبيها وأول فكرة خطرت ببالها أن تطلب الطلاق، لكنها بقيت صامتة، أحست بالتعب لتخوض هكذا حديث. خرج خالد من الغرفة واحترم رغبة ريم التي طلبت البقاء وحدها.

في هذا الوقت، كانت نيرمين قد شرحت لحماتها أن ردة فعل ريم طبيعية، وأنها اعتذرت.

- «إنه نحنا شو منعملها إذا الله مابده يطعمها اولاد، أي والله لو ما هي بنت عمه، كنت خليته يطلقها من ساعة ما عرفت إنُ ما بتقدر تجيب اولاد، سكتنا ومش بس هيك، ليك وينه خالد عم بساعد أهلها.. بس يلا شو بدنا نقول، يلا الله يسامحها و يهديها».

أتى خالد وشرح لهم أن ريم تعبانة وتريد أن تبقى في غرفتها، أكلوا الكنافة وذهبت نيرمين إلى صالونها وبقي خالد. عندما دخلت أم خالد تعد القهوة، سأل عمر خالد:

- «كيفها؟».

بدأ خالد جوابه وهو يضحك «كتير منيحة الحمدالله نحنا...»

- قاطعه عمر: «عم بسالك عن ريم؟».

عض خالد على شفافه ورفع نظاراته «من المفروض صارت أحلى، ليه هالقد مهتم؟ صرت حسك بتكرهني بسببها؟».

انزعج عمر من سؤال خالد وأحس بالإحراج، لكنه بسرعة بديهته المعروفة جاوب:

- «إبن عمك أحمد مات بدالي، وهو بين إيدي وصاني بأخته الصغيرة والله بيشهد عليي إدي انبسطت بس عرفت إنك رح تتزوجها، كنت مفكرك إنُ رح تحبها وتفاجأت باللي صار، بصراحة أنت الوحيد اللي كان فيك تزبط الموضوع بس لأ، رحت تحب وتنغرم وتتزوج...».

وقف خالد وأغلق الباب وجاوب خاله: «فكرك أنا بكرهها، إنت ما حسيت باللي عشته أنا، من ساعة ما وعيت على الدنيا وأنا بسمع ريم إختك، فجأة تزوج ريم، والله جربت بس ما قدرت، كرهت حالي وكرهتا، شو كان طالع بايدي؟».

لم يستطع الشيخ عمر أن يجاوب أبن أخته بل تعاطف معه.

***

قرار الطلاق

زارت ريم أمها في اليوم الثاني، أخبرتها عن حبل نيرمين وعن قرارها بالطلاق. عندما سمعت أمها بموضوع الطلاق جن جنونها وصارت تصيح وتبكي:

- «لا إنتي أكيد جنيتي، بدك تقتليني يا ريم، بدك تتطلقي؟!».

- «روقي أمي، ليه عم تعيطي، لا أنا أول وحدة ولا رح كون آخر وحدة».

- «ليك بتقلي روقي»... ونظرت الى السماء «دخيلك يا الله موتني وريحني».

صارت ريم تبكي «بعيد الشر عنك يا إمي، الله يطول بعمرك، ما تقولي هيك».

هدأت أم أحمد قليلاً ومسحت دموعها وقالت لها بنبرة عالية: «قوليلي بقا، كيف خطرت ببالك هالفكرة العبقرية؟».

- «انه ليه بدي أبقى مع خالد، هو ما بنام معي وما بحبني». وقبل أن تكمل قاطعتها أمها وهي تتمسخر:

- «إذا ما بحبك، إي شعليه طلقيه إمي، شو بدك فيه ما بحبك». وفجأة علت صوتها لدرجة أن ريم إنتفضت من صوتها «وعي ريم

وعي إمي، بدك ضّحكي الناس علينا، بدك تقولي للشيخ بدك تطلقي لأنُ زوجك ما بحبك؟!». فتحت فمها ريم لتجاوب لكن أم أحمد أكملت بنبرة منخفضة «وبعدين يا إمي فكرت بإخواتك بس أخدتي قرار تتطلقي، إنتي ناسية أن خالد عم يصرف علينا».

- «لا أنا مش ناسية، بس أنا برجع بتزوج» جاوبت ريم بكل براءة.

اطلّعت أم أحمد بإبنتها، مصدومة بسذاجتها:

- «يا الله يا الله، ولك إنتي مجدوبة، يعني على أساس العرسان ناطرين بالصف، بس يعرفوا إنُ بدك تتطلقي، رح يتشلقحوا على بابنا».

- «لي عم تتمسخري عليي، ما هي نيرمين أكبر مني وعندها أولاد وليك وينيّ تزوجت».

- «مزبوط إمي، بس نيرمين عندها صالون بيفتح عشر بيوت متل بيتنا وبعدين ما إنتي قلتيلي إنُ حماتك والشيخ عمر جنوا على خالد بس قال بده نيرمين، وبدال ما تشوفي نيرمين، شوفي زينب، ما هي رفيقتك، ليك وينيّ، بعدها قاعدة بوجه أمها وهيدا أهلها معروفين أنُ من أكثر البيوت المرتاحين، يعني بساعدوه للعريس مش عايشين على تكلته، الله يسامحك يا أبو أحمد».

صمتت أم أحمد قليلاً ثم أكملت «عفكرة إمي، على علمك حكت أم خالد مع خيها بخصوص زبنب؟».

- «ليه عم تسألي، ما تكوني كمان إنتي محرقصة تزوجي الشيخ عمر؟».

- «لا محرقصة ولاشي، آخر همي إذا بيتزوج عمر الزفت، بس أم زينب حكتني تابعلها الموضوع، مستحية تسأل أم خالد، شفتي إمي، الناس عم تدلل على بناتها وإنتي بدك تطلقي؟».

- «إي قليلها، إنها حكت معه، بس هو شايل فكرة الزواج من راسه»

«صاير له» وأدارت ظهرها ودخلت إلى المطبخ. لحقت ريم أمها إلى المطبخ.

- «إمي ليه إنتي بتكرهي الشيخ عمر؟ والله ما في منه!».

- «لأنه هو السبب بموت خيّك».

- «بس هو كتير منيح معي وعطول بيوقف معي، وأحمد الله يرحمه هو كان محمس للقضية».

- «أكيد لأنُ ضميره عم بأنبه وهو لعب بعقله لخيّك».

- «أحمد الله يرحمه كان متل بابا، هيدا بابا مين لعب بعقله؟».

فجأة صارت تبكي أم أحمد، هي كانت حساسة كثيراً بموضوع أحمد، تركت الجليات ونفضت يديها من الماء ونظرت إلى ريم:

- «انتي ليه عم دافعي عن عمر، وبعدين إنتي شو بتعرفي أصلاً عن خيّك؟ كنتي كتير صغيرة بس استشهد»... مسحت دموعها وأكملت: «يا ريم شو قصتك اليوم؟ ليه مصرة تقهريني؟».

تضايقت ريم عندما رأت أمها مقهورة، مع أنها أحست أن أمها قست عليها وبالغت بردة فعلها على موضوع أحمد، لكنها إقتربت وغمرتها.

- «خلص إمي حقك علي، بوعدك ما بقى إحكي بالموضوع».

خرجت أم أحمد من المطبخ وهي تمسح دموعها، أكملت ريم الجليات وهي تبكي وتندب حظها. وما إن انتهت، فتحت البراد لتأكل، فهمت حينها عصبية أمها. كان البراد خالياً.

دخلت لعند أمها لاقتها ممددة على التخت وبيدها صورة أحمد، إقتربت ريم، جلست إلى جانبها وأخذت من جيبها بعض المال الذي كانت تدخره من المصروف الذي يعطيها إياه خالد ووضعتهم بيد أمها.

- «انا رح إمشي».

- «اقعدي شوي، هلق شوي بيوصلوا إخواتك، رح أعمل مفركة بطاطا، بعرفك بتحبيها» وقامت من التخت ووضعت المال في عبها «الله لا يحرمني منك» وإبتسمت.

لحقت ريم أمها إلى المطبخ وهي تساعدها، نظرت أم أحمد إلى إبنتها وقالت لها:

- «عفكرة إمي بدي قلك شغلة، يمكن إنتي زعلانة أنُ ضرتك حبلت، بس شو بعرفك، يمكن هيدا الشي لمصلحتك، بكرا بس تولد، أكيد رح تلتهي بالولد وتهمل خالد، ساعتها خالد بيرجعلك».

«ليش كان معي بالأول ليرجعلي!».

«شو بعرفك، يمكن بهالغيبة عنك يشتقلك؟!».

تضايقت ريم من جواب أمها لأنها أحست أن أمها لم تفهم ما يحصل معها. أخذت ريم قراراً بأن لا تتناقش مع أمها في هذا الموضوع مرة أخرى.

تناولت ريم الغداء مع أخواتها، قضت نهارها عند أمها وعادت في المساء لعند أم خالد وكان لديها غصة، بعد هذا المشوار فهمت أن طلاقها مستحيل قبل أن ينهي أخيها محمد دراسته.

قضت ريم ليلتها وهي تبكي، تبكي شبابها، حظها، وعمرها الذي سيضيع منها وهي تخدم أم خالد.

***

ولادة نيرمين تنجب الحب المحرم

بعد حبل نيرمين، أم خالد تغيرت، صار كل اهتمامها تغذية نيرمين، زادت زيارات نيرمين وخالد وما كان شيء يعزي ريم في هذه الفترة إلا زيارات الشيخ عمر.

كانت في النهار تلتهي بالأعمال المنزلية والمسلسلات، وتغفو في الليل وهي تتخيل نفسها في حضن الشيخ عمر.

وصلت نيرمين إلى الشهر التاسع، كانت الدكتورة أكدت لهم أنها حامل بصبي وأم خالد حضّرت جهاز نيرمين، وطلبت من ريم أن تحضّر غرفتها لنرمين وتنتقل هي إلى غرفة أم خالد، لكن نيرمين لم تقبل وأصرت البقاء في بيتها حتى تهتم بأولادها، ودعت أم خالد لتذهب عندها أول فترة، طبعاً ريم فرحت جداً بهذه الترتيبات.

في هذه الفترة، كان وضع المخيم ليس مستقراً بعد أن الدولة اللبنانية أخذت قراراً بتجريد المخيمات من السلاح، طبعاً الشيخ عمر وقادة الفصائل أخذوا قراراً بعدم تسليم سلاحهم، فخفّت زيارات الشيخ عمر وعادت ريم إلى حياتها الروتينية حتى أتى اليوم المنتظر الذي كان يشهد فيه لبنان عاصفة قوية جداً.

وقفت ريم مقابل أم خالد تنتظرها حتى تنهي صلاتها، وما إن إنتهت، قالت لها:

- «اتصل خالد هلق، نيرمين بلشت تولد، رح يمرقوا عليكي بطريقهن على المستشفى»

- «بسرعة لكن تعي ساعديني ألبس».

- «يعني ما خطرلها تولد إلا بهالطقس!».

- «شو بإيدا، دعيلها الله يخلصها بخير وبعدين الشتي ما بجيب معه إلا الخير».

ساعدت ريم حماتها ولم تتركتها حتى دق خالد على الباب وكان مبللاً من فوق لتحت،

- «شو وينها إمي، ما تقوليلي بعدها ما جهزت».

- «امبلا إمي،» ردت أم خالد وكانت قد وصلت إلى الباب، نظرت إلى ريم «قفلي الباب منيح، رح خلي نيرمين تدعيلك الله يرزقك بولد».

أغلقت ريم الباب من دون أن تجاوب حماتها، وأول فكرة خطرت ببالها أن يصير معهم حادث ويموتوا كلهم، لكن سريعاً استسمحت ربّها، وأخذت تدعو الله أن يوصلهم بخير، ويخلّص نيرمين بخير.

كانت ما تزال الساعة السادسة، فكرت ريم أن تبيت عند أمها، لكن الجو كان ممطراً كثيراً، كانت تبرق وترعد، لفّت ريم حالها بالحرام وغفت بينما كانت تتابع مسلسلاتها.

فجأة صحت ريم على صوت غريب، في بادىء الأمر لم تستطع تمييزه من صوت الرعد. وبعد ما ركزت قليلاً تأكدت أن ما تسمعه صوت رصاص، نظرت إلى ساعتها، كانت الحادية عشر ونصف.

فجأة سمعت صوت الباب يفتح، نادت: «أم خالد!» وصوتها يرتجف، لم تستطع أن تتحرك من شدة الخوف، كانت متأكدة ألّا يعقل أن تكون عادت أم خالد وارتعبت أكثر عندما تذكرت أن أم خالد ليس معها مفتاح وفجأة انهارت بالبكاء عندما رأت الشيخ عمر

بوجهها، مبللاً يحمل كلاشن، ويرتدي حزام رصاص، إقترب عمر ووضع الكلاشين على الطاولة وأمسكها من كتفيها:

- «ما تخافي، هيدا أنا عمر، وين أم خالد؟».

جلست ريم على الكرسي وهي تضع يدها على صدرها وتحاول أن توقف البكاء:

- «نيرمين عم تولد وراحت أم خالد معهن على المستشفى».

ذهب عمر إلى المطبخ، جلب الماء لريم، ناولها الكأس وكانت قد هدأت قليلاً. جلس مقابلها وسند رأسه للوراء.

- «خير انشالله خير». ونظر إلى ريم التي كانت تنظر إليه مع إبتسامة وتمسح دموعها.

- «انرعب قلبي..».

- «حقك عليي، ليه بقيتي لحالك وما رحتي عند أهلك؟».

- «ما هي صارت فجأة وأنت شايف كيف الطقس».

فجأة سمعوا خبيطاً على الباب ولحقه صوت من وراء الباب «نحنا الجيش اللبناني، افتحوا الباب بسرعة، معنا أوامر بتفتيش كل البيوت».

أمسك عمر سلاحه، وضعت ريم حجابها وركضت إلى غرفة حماتها، بينما أكمل الصوت من وراء الباب «افتحوا الباب أحلى ما نخلعه».

عادت ريم وبيدها ملاية لحماتها، أعطتها لعمر، إقتربت من الباب، وبصوت يرتجف ردت على العسكري «ما في رجال بالبيت بس أنا وإمي».

- «معليش أختي، إفتحي الباب، ضروري نفتش».

- «طيب بس لحظة بس لحط على راسي، هلّق بفتح» اقتربت من عمر الذي كان مصدومًا بردة فعل ريم ولم يكن يعرف ما العمل، همست له:

- «إلبس ملاية مرة عمي وأقعد على كرسة عمي ياسر بغرفة أم خالد وأنا رح قول إنك أمي».

أخذ الشيخ عمر سلاحه وركض إلى غرفة أخته، إرتدى الملاية وجلس على الكرسي المدولب بعد أن خرب التخت، أدار وجهه صوب الحائط، كان الكلاشن بين يديه تحت عبايته.

ريم فتحت الباب ودخل إثنان من العسكر وبقي الضابط أمام الباب. لحقت ريم العساكر:

- « خير، فيي إفهم على شو عم تفتشوا؟».

- «مش هون بيت أخته للشيخ عمر؟».

- «إي مزبوط، بس هي مش هون».

- «وإنتي مين بتكوني؟».

- «أنا كنّتها».

اصفّر وجه ريم عندما رأت العسكري يدخل غرفة أم خالد، لحقته وتكلمت مع العسكري بصوت منخفض: «معليه شوي شوي، إمي معها بالقلب».

وضع عمر يده على زند الكلاشن وقلد صوت إمرأة عجوز «شو في يا ريم؟».

- «ما في شي».

وأدار ظهره العسكري وخرج من الغرفة، رخّى عمر يده عن زند الكلاشن وتنفس الصعداء، لحقت ريم بالعسكري وعاد العسكري الآخر أيضاً إلى الباب.

- «ما في حدا سيدنا».

نظر الضابط إلى ريم وقال لها «بتعرفي شي وين معقول يكون الشيخ عمر؟».

ردت ريم بكل ثقة «يمكن راح مع أخته على المستشفى، كنتها عم تولد»

- «ما إنتي كنّتها!».

- «ضرتي عم تولد».

- «طيب، ما تواخذينا ...» وبعد أن أدار ظهره عاد ونظر إلى ريم وقال لها «إنتي بتعرفي إنه اللي بخبي مجرم عنده بيتعاقب متله متل المجرم والشيخ عمر مطلوب بجرم محاولة قتل عسكري فإذا اتصل أو عرفتي عنه لازم تبلغي».

أقفلت ريم الباب ودخلت غرفة أم خالد وهي تضحك، عمر الذي كان يخلح الملاية، ضحك لريم وقال لها: «عم تضحكي عليي ما هيك!».

- «أي، ما بعرفك عندك هيك مواهب، بس والله عم فكر بلغ إنه أم خالد وخالد ونيرمين كانوا مخبيينك عندهن وهيك برتاح منهن» وهي تخلع حجابها وتمشي صوبه، كأن ما حدث قد خدّرها.

اقترب عمر منها أكثر «لو بعرف إنُ أنا وإنتي منكون بنفس الحبس، كنت سلّمت حالي وسلمتك معي».

وضعت ريم يديها على وجه عمر ومن دون أي تردد مد عمر يده اليسار على خصرها، شدها إليه ويده اليمين تلعب بشعرها، التقت شفافهما، في هذه اللحظة، الشيخ عمر لم يعد شيخ وصار مراهق عشقان عديم المسؤولية غير مكترث بدين أو بمجتمع، وغرق بشفاه ريم التي من أول قبلة تحولت من فتاة الى إمرأة.

الخجل تحول لشهوة، الخطيئة صارت جنّتها، في هذه اللحظة وقف الزمن بالنسبة لها، كانت مستعدة للإحتراق بنار جهنم شرط أن تعيش هذه اللحظة للأخير، وصلت قُبْل عمر إلى رقبتها ويديه تكتشف أسرار جسدها الذي كان يرقص على لمساته ويتعطش لقبلاته أكثر وأكثر.

لم تبعد يديها عن وجه عمر إلا لتفك أزرار القميص وتفك معهم أنوثتها المقيدة، وما تحررت من يديه إلا لترمي نفسها على التخت كأنها تدعوه ليكتشفها أكثر.

ومع كل قبلة، وكل لمسة كانت ريم تسترجع اللذة التي انسرقت منها، وتتنعم بجنةٍ ليس لها حدود، غرقت ريم وعمر معاً كأنهما وحدهما في هذا الكون. لم تفق ريم إلا على صوت عمر الذي كان راكعاً إلى جانبها، يضع يده على شعرها ويهمس لها:

- «قومي اشربي معي القهوة، هالمرة أنا عملتلك القهوة».

جلست ريم على التخت، خبأت جسدها بالحرام، شعرها البنيّ نزل مثل الشلال على خدّيها، وكانت السعادة تغمرها وتشع من عينيها.

فجأة قامت من التخت بسرعة وبعدها ممسكة بالحرام، وتغيرت ملامح وجهها عندما عادت إلى واقعها،

- «ادي الساعة؟».

- «ما تخافي، بعدها الساعة خمسة، بس أنا صار لازم إمشي،» إقترب وقبّلها على خدها وأكمل «يلا البسي ولحقيني...».

ارتدت ريم ثيابها، لحقت عمر وجلست بحضنه كأنها طفلة صغيرة.

- «خليك هون، أكيد ما بقى رح يرجعوا يفتشوا هون».

رد عمر وهو يلعب بشعرها «لازم روح، أكيد رح يرجعوا ليحققوا مع أم خالد».

- «طيب كيف رح تضهر من هون، يمكن عم يراقبوا البيت؟!».

- «ما ينشغل بالك، زبطت الوضع مع الشباب». ابتسم لها وأكمل «إمك مرضت ولازم تروح على المستشفى!».

قامت ريم من حضن عمر، جلست مقابله، أخذت فنجان القهوة، وبعد أن شربت أول شفة نظرت إلى عمر: «عمر، خذني معك».

ضحك عمر «يا ريت والله...».

- «أنا ما عم إمزح، ما حدا بيعرف إنك كنت هون، رح يفكروني هربت وأنا متأكدة ما حدا رح يفتش عليّ».

إقترب عمر من ريم، وضع يده على وجهها، وقال لها:

- «أنا مش عارف حالي وين رايح أو شو رح يصير! روحتك معي هلق أكيد فيها خطر على حياتك، وتأكدي شو إنُ يهدا الوضع، أكيد رح أخدك معي» ثم دق تلفون عمر وبعد أن قرأ الرسالة، قال:

- «هو الشباب وصلوا، صار لازم إمشي، خبري أم خالد إني جيت ونمت الليلة هون».

- « بس يمكن ....» و قبل أن تكمل قاطعها عمر:

- «ما تخافي، أكيد ما رح تشك بشي».

دخل عمر إلى الغرفة وساعدته ريم ليرتدي العباية، أخذ كرسي أبو خالد معه:

- «حطي حجابك، رح تساعديني على الباب».

وقف عمر وألقى رأسه على الباب يتسمّع إذا هناك أي حركة، حمل الكلاشن بيده تحت العباية، وقفت ريم مقابله تودعه وهي تبكي بصمت. عندما سمع صوت سيارة، إقترب من ريم التي أمسكت وجهه بيديها الاثنتين واقتربت حتى لمس جبينها جبينه.

- «ما طّول عليّ؟!».

- «بوعدك».

في الحقيقة كان عمر يحبس دموعه، ريم صارت نقطة ضعفه والليلة الماضية غيّرت عمر، بعد أن كان الموت شهادة لعمر، صار الموت خسارة، بعد أن كان المخيم حياته ومشكلته، صارت ريم حياته وخلاصه.

جلس عمر على الكرسي ونظر إلى ريم وابتسم لها:

- «صار لازم إمك تروح على المستشفى!».

مسحت ريم دموعها وانحنت قبّلته برأسه، وضعت له الحجاب، وفتحت الباب لتتفاجأ بسيارة إسعاف تأخذ عمر. إبتسمت ريم عندما سمعت أحد الشباب:

- «الحمدالله على سلامتك يا حجة، انشالله كله خير»، وأخذ الكرسي من ريم وعندما صارت الكرسي محصورة بين بابين سيارة الإسعاف وقف عمر:

- «فوتي ريم وسكري الباب وانتبهي التلفونات مراقبة».

- «الله معك».

صعد عمر إلى سيارة الإسعاف والشاب أعاد الكرسي لريم التي أغلقت الباب وانهارت بالبكاء بينما كانت تدعو لعمر بالخير.

بعد أن صارت الساعة السادسة والربع، دخلت ريم إلى غرفة أم خالد وبدأت بترتيب وتنظيف الغرفة كأنها تخفي أثار الجريمة وحضّرت برأسها السيناريو الذي ستقوله لأم خالد.

***

وصلت أم خالد الساعة العاشرة، وشرحت لريم عن ياسر، إبن خالد والولادة الصعبة لنيرمين التي حولوها لعملية قيصرية، وكيف قضت الليلة على أعصابها إلى أن أنهت خبريتها عن حصار الجيش اللبناني للمخيم الذي أخرّهم كثيراً.

كانت ريم تستمع إلى الحديث وتسترجع السيناريو الذي حضّرته حتى لا تخطىء بأي تفصيل، وعندما صمتت حماتها، بدأت ريم حديثها بهدوء...

- «والله يا مرة عمي، أنا كمان ما نمت الليلة، الشيخ عمر إجا مبارح لهون». وقبل أن تكمل قاطعتها أم خالد:

- «خالد كان عم يدقله، بس خطه كان مسكر».

- «ما هو كان هربان من الجيش» كان صوت ريم يرتجف

ضربت أم خالد يدها على صدرها: «يا دلي أنا، يعني الجيش محاصر المخيم كرمال عمر؟!»

- « إي، والجيش إجا مبارح لهون على البيت يفتشوا عليه...».

فنجرت أم خالد عيونها التي رغرغت بالدموع، لكن ريم طمأنتها سريعاً:

- «بس ما تخافي، ما كمشوا».

تنفست أم خالد الصعداء «الحمدالله ،الحمدالله... منيح ! و وينه هلق؟».

- «فل الصبح بكير...».

- «ليه خليتيه يفل، الله يسامحك كيف فَل؟».

«ما هو لبس العباية وقعد على كرسي عمي... أنا قلتله للعسكري أنه إمي! والحمدالله صدقني والصبح بكير إجت سيارة الإسعاف وأخدته على أساس هو إمي ومرضت، ما دقيتلكن لأنه خفت يكونوا عم يراقبوا التلفونات».

- «بعرف، بعرف! الله يحميه ويعمي عيونهم عنه».

وقبل أن تدخل أم خالد إلى غرفتها، أعطتها الأوامر لتحضير بعض الأغراض، وأخبرتها أن خالد سيمر ليأخذهم معه إلى المستشفى.

عندما أتى خالد، أعادت ريم نفس الخبرية لكن بثقة أكبر وخوف أقل.

بعد يومين إنسحب الجيش من داخل المخيم، لكنه بقي محاصراً. كان الوضع في المخيم يغلي، الفصائل اتفقت على عدم تسليم سلاحها، لكنهم انقسموا بين تسليم المطلوبين أو حمايتهم، طبعاً الشيخ عمر الذي كان مطلوباً بمحاولة قتل عسكريين اختفى وأعلن أنه لن يستسلم.

خرجت نيرمين من المستشفى مع ياسر إلى بيتها، كانت أم خالد كل يوم تذهب إلى منزلها لتعاملها، وريم تقضي كل يوم تنتظر عمر، وفجأة صارت تتابع الأخبار وتحاول أن تفهم سياسة المخيم.

مرّ شهران ووضع المخيم هدأ قليلاً، حصار الجيش خفّ، لكن بقي الشيخ عمر على لائحة المطلوبين، واضطر أن يبقى مختفياً حتى يضمن أن تدعمه الفصائل الأخرى ولا تسلمه إلى الجيش.

عادت نيرمين إلى صالونها، صارت كل يوم تأخذ ياسر عند أم خالد، وصارت ريم تنتظر ياسر كل يوم، حيث تعلقت به كثيراً، وصار يؤنس وحدتها، كانت تحمله على صدرها، تمشي به ساعات، تغير له، تحممه وتطعمه وعندما تكون معه وحدها، كانت تناديه ماما.

أحبته لدرجة أنها تخيلت لو صار عندها ولد، سوف تحبه مثل ياسر لكن أكيد ليس أكثر، حتى نيرمين وأم خالد لاحظوا كم تعلقت ريم بياسر.

صحيح أن ياسر صار قطعة من قلبها، لكنه طبعاً لم يُنسيها عمر الذي كان مستعجلاً لينهي خلافاته مع الفصائل، عمر الذي كان لا يخاف شيئاً ولا تفرق معه الحياة، صارت ريم نقطة ضعفه، أخذ يقدم تنازلات للفصائل حتى تعود له حرية تنقله في المخيم كي يزور ريم ويطمئن عليها وفي نفس الوقت، أصبحت ريم نقطة قوته، صار متمسكاً بالحياة

وبالحرية حتى يكون معها، وفي كل هذه الاحداث نسي عمر أهم شيء، أنه يستطيع رؤية ريم لكن أكيد لا يستطيع أن يكون معها.

***

عمر إلى الحرية

بعد مرور ثلاثة أشهر، توتر الوضع السياسي في لبنان وتوجهت الأنظار إلى الداخل اللبناني وتمّ فك الحصار عن المخيم.

استطاع الشيخ عمر أن يكسب كل الفصائل لصفه، وعادت له حرية التنقل في المخيم، خرج من مخبئه ليتوجه إلى بيت أخته، طبعاً كان اللقاء حاراً ومليئاً بالدموع مع أخته، وبينما كان يغمرها أطلت ريم تحمل ياسر، عندما رأت عمر أخذت تبكي وهي تبتسم، أما عمر فدمعت عيناه لرؤية ريم، ترك أخته ومشي صوبها.

- «كيفك؟».
- «الحمدالله !» وعيونها تضحك لعمر .
- «شفت ياسر!». قالت له أم خالد،

اقترب يأخذ ياسر من ريم، أمسك بيديها وشد عليهما وحمل ياسر قبل أن تلاحظ أم خالد أي شيء.

- «يلا ريم، روحي دقي لخالد، قوليلو يجي».

- نظرت إلى عمر وقالت له: «عقبال ما شوفك حامل ابنك».

حضّرت ريم القهوة، كانت قد إمتنعت عن شربها منذ آخر مرة شربتها مع عمر، بالنسبة لها، عمر علّمها تحضير القهوة وحبّبها فيها حتى صار شرب القهوة بالنسبة لها لذة تجمعها بعمر، وعندما كان عمر فاراً أخذت قرار ألّا تشرب القهوة إلا عندما يعود عمر وهكذا حدث.

شربوا القهوة وقامت ريم وأم خالد لتحضير الطعام، بقي خالد وعمر وحدهما.

كانت ريم تفكر كيف يمكن أن تكون مع عمر بمفردها، أين يمكنهما أن يلتقيا، فهي لم تشتاق له وحسب بل إشتاقت أيضاً إلى لمساته وقُبلاته وهمساته.

أم خالد حضّرت محاشي، بما أنها أطيب أكلة عند عمر. وصلت نيرمين وجلسوا يأكلون، لاحظ الجميع أن ياسر تعلّق كثيراً بريم وهذا الموضوع ضايق نيرمين، كانت هذه أول مرة ترى نيرمين علاقة ريم مع ياسر.

- «عفكرة أختي، شوفيلي شي بنت تنظف لي البيت».
- «تكرم عينك، تقبرني، بدي شفلك وحدة تنظف البيت وعروس كمان!».

- «هلق مش وقتا أختي، شايفة الوضع اللي أنا فيه». جاوب عمر بعصبية وعاد أكمل بهدوء «بتعرفي شو، خلص أختي، ما ضروري تجيبي حدا ينظف البيت، أنا رح نظفه، أصلاً الليلة رح نام فيه».

- «ليك ليك هالحكي، هيدا اللي بعد ناقص، الليلة بتنام عنا وبكرا بشفلك أم حسن تيحي تنظفلك ياه».

- «أم حسن ما بقى عم تنظف بيوت، أولادها ما عادو خلوها» قالت نيرمين «خلص ريم بتنظفه».

صحيح أن نيرمين كانت تحاول قهر ريم بهذا الاقتراح، لكن الموضوع بالنسبة لريم كان يسير كما هي تريد، كأن الله يتدخل حتى يجمعها بعمر.

- «طبعا لأ، منشوف حدا غير أم حسن، بكفي ريم عم تهتم بياسر». رد خالد كأنه إنحرج من إقتراح نيرمين.

- «أنا ما عندي مشكل، عادي، إذا أم خالد بتهتم بياسر».

- «بكرا رح أخد ياسر معي على الصالون» ردت نيرمين.

لم يعلق عمر بأي كلمة، بالنسبة له هذه فرصتة ليكون مع ريم.

- «خلص لكان، أنا بروح مع ريم ومنظفلك البيت». ردت أم خالد.

قبل أن ينكسر حلم ريم، رد عمر:

- «ما بأثر على ياسر بالصالون، روايـح الصبغة والصوت ودخان...».

- «أي مزبوط، معك حق». رد خالد، نظر إلى نيرمين «أفضل شي أنه أنتي تعطلي بكرا».

- «ليه مكبرين الموضوع، أنا بروح بنظف بكرا، ما هون عم نظف وهونيك عم نظف، ساعتين بكون خالصة، خلي ياسر عند أم خالد» قالت ريم.

في السهرة لم يقبل عمر أن ينام عند أخته، أخبرها أنه سوف ينام حيث كان ينام من قبل.

قبل ذهابه، نادى ريم التي كان واضحاً عليها الحزن، بالنسبة لها، عمر كان يضيع فرصة السهر معها ولم تستطع أن تفهم أي سبب يمنعه من البقاء.

***

عمر يفاجىء ريم

- «هيدا مفتاح البيت، عفكرة في كل شي لتنظيف البيت، يعني ما ضروري تجيبي شي معك، ومعليه تيجي بكرا بكير تنظفيه لأنه...» وقبل أن يكمل حديثه أخذت ريم المفتاح منه وجاوبته بلأمنة:

- «ولا يهمك، قبل ما ترجع رح يكون خالص». وأدارت ظهرها سريعاً ومشت إلى غرفتها قبل أن تلاحظ أم خالد دموعها.

تفّهم عمر حزن وقهر ريم، أما ريم التي كانت غاضبة كثيراً من عمر، لم تستطع أن تنام كل الليل وهي تحلل تصرفاته و كلامه.

- «كان كتير بارد وجدّي معي، معقولة ما بحبني واللي صار بينا نزوة، بس لي مسك ايديي وشد عليهن بس أخذ ياسر مني، لي ما نام هون، معقول بدو يتهرب مني، يمكن بعدو بحبني، بس بدو ينهي كل شي بيناتنا، معقول ما عجبتوا لأني ضعفانه، معقول حسّني باردة وفكر أنه أنا ما بقى حبّه».

قضت ريم ليلتها وأفكارها تلعب بها حتى بزوغ الفجر، حضّرت نفسها باكراً وذهبت حتى تنظف بيت عمر. ما إن فتحت الباب حتى وجدت عمر يقف مقابلها بكوفيته الفلسطينية وقميصه الأسود وبنطلونه العسكري وضحكته الجذابة وعيونه تلمع لرؤيتها، كان يضع يديه في جيبي بنطلونه العسكري.

وقفت ريم مصدومة لرؤيته، ثم فرطت من الضحك كطفلة لا تستطيع أن تخبىء أو تسيطر على سعادتها، إقترب عمر، أغلق الباب وغمرها وشدّ عليها.

- «اشتقتلك».

ضحكات ريم تحولت إلى دموع، أبعدت رأسها عن صدره وأمسكت وجهه بيديها الاثنتين: «ليه فليت مبارح هيك؟».

قبّل يديها: «ناطرك نشرب القهوة سوا، بعدين بحكيلك ليه عملت هيك».

- «رح فوت أعملك قهوة». قالت ريم بينما كانت تنظر حواليها في المنزل.

- «ما قلتيتلي، شو رأيك بالبيت؟».

- «حلو، بس ما بدو تنظيف!».

- «أكيد ما بدو تنظيف، مبارح بقيت سهران لساعة وحدة، لصار هيك!»

- «وأنا شو جاي أعمل لكن، أشرب قهوة؟!» وهي تضحك.

اقترب عمر، نزع حجابها وفك ملقط شعرها ومرّق يده في شعرها وقبلها في جبينها ودمعت عيناه «شو عملتي فيي».

رسمت ريم بسمة صغيرة على فمها: «اشتقتلك، اشتقتلك كتير».

أمسك عمر يد ريم وأخدها إلى غرفة النوم.

هذة المرة، حبهما لم يكن بغتة أو صدفة أو لحظة طيش، هذه المرّة حبهم كان أمنية، كان خطة وكان حقيقة.

***

مواجهة الحقيقة

كثيرون يقولون أن الحقيقة قاسية، كم حقيقة حبّهم ستكون قاسية من العالم الخارجي، مع العلم أن هذه الحقيقة نفسها كانت الرحمة لريم وسر الوجود لعمر!

يا الله يا نيوتن! كيف أتى على بالك قانون النسبية، هذا القانون الفيزيائي الذي طبقناه على أشياء مادية، لكنه في الواقع ينطبق على كل تفاصيل حياتنا ووجودنا، حتى أبسط القوانين والقواعد التي تعلمناها ونحن صغار مثل الحقيقة والخيانة.

أي طفل يستطيع أن يعرف الحقيقة ويستطيع أن يؤكد أن الخيانة من أعمال الشيطان. لكن إذا دققنا بالحقيقة والخيانة، نجد أن الحقيقة تستطيع أن تكون كذبة والخيانة التي نتفق عليها جميعا أنها أكبر وأقسى كذبة، هي نتيجة حالتين مجتمعتين:

أول حالة هو الحب الذي جميعنا نتفق أنه أجمل وأسمى شعور اختبرته البشرية، هو المعجزة التي أيقظت عاشقاً من الموت، وهو نفسه الشيطان الذي قتل روميو وجولييت، هو الذي ركّع رجالاً امتلكوا العالم وأشعل حروباً، حتى في مفهوم الحب هناك نسبية.

أما الحالة الثانية، وحتى لا نظلم الحب، هي الخوف، بالنسبة لي، الخوف هو الشيطان الحقيقي، الخوف من المواجهة، الخوف من المستقبل، وأسوأها الخوف من بعضنا البعض.

على أساس، ليس المفروض أن نخاف إلا من الله، لكن لا ندري كيف، وحقيقةً لا أقدر أن أعرف أين الخلل، لكن في الأخير، نكبر نخاف من كل شيء وعلى كل شيء، أكثر ما نخاف هو بعضنا البعض وأقل ما نخاف منه هو الله.

ممكن، لأن إيماننا بالله كبير، نعرف أنه سيسامحنا، لكن أكيد نحن لا نعرف أن نسامح ولا نعرف أن ننسى، مثلاً، كم من أهل قتلوا بناتهم أو أحفادهم بسبب خوفهم من الفضيحة، أين كان خوفهم من الله، كم من أناس سرقت لأنها خافت من الجوع والفقر لكنها لم تخف الله، وكم من أشخاص قتلوا وشردوا لأنهم خافوا أن تذهب السلطة من أيديهم لكن لم يهتموا لغضب الله.

الخوف جبار، حتى براءة الأطفال لا شيء يكسرها إلا الخوف، خوفهم من غضب الأهل.

صحيح أن عمر تغيرت حياته بعد ريم، صار حبهم أهم اعتباراته، لكن بقي خوف الأهل والمجتمع في حساباته، أما خوف ريم الوحيد هو عمر، عمر كان الوجود لريم ومستعدة أن تخسر كل الدنيا كي تكون معه، أما المجتمع والأهل الذي يحسب حسابهم عمر هم نفسهم سرقوا حياتها وسعادتها، وعمر هو الذي رد لها الروح.

***

بينما كانت ريم ترتدي ثيابها، جلس عمر على حافة التخت يتأملها، حتى قاطعته ريم:

- «وهلأ شو؟».
- «هلأ القهوة؟!».

قبل أن ترحل ريم، أعطاها عمر تلفون وشرح لها أن هذا الهاتف ليتكلموا مع بعضهما وطلب منها أن تبقيه صامتاً كل الوقت.

عادت ريم إلى بيت أم خالد كأنها إنسانة جديدة، السعادة تشع من عينيها، أما عمر فكان يفكر بعلاقته بريم والحل لهذه العلاقة.

ذهب عمر إلى الجامع ليرى الشيخ بلال، مكانته لا تسمح له أن يفضح حاله أمامه، اليوم الشيخ بلال معه لكن من الممكن أن يكون عدوه غداً.

الشيخ بلال، شيخ الجامع، له مكانة خاصة بالمخيم، معروف عنه أنه حيادي وعلى مسافة واحدة من كل الفصائل، كان له يد بالصلحة بين الفصائل، هو الوحيد في المخيم ينادي قيادي الفصائل من دون ألقابهم.

لم يكن الشيخ بلال يحب قيادي الفصائل، كان يحسّ أنهم يؤثرون على سلطته، عمر كان يفهم شخصية الشيخ بلال، لذلك

كان دائماً ينأى بحاله عن مشاكل المخيم الصغيرة، وعندما يحسّ أن الشيخ بلال ينتقده ويشكو تصرفاته البعيدة عن الدين، كان عمر يبعث وراءه و يستشيرهُ، بهذه الطريقة إستطاع أن يضمن ودّ الشيخ بلال ويحصل على دعمه.

- «اهلاً بعمر، هيئتك غلطان بالعنوان». قال الشيخ بلال وهو يسلّم على عمر،

- «مش يمكن الله هداني». جاوب عمر الشيخ بلال وهو يبتسم.

- «ويهدي من يشاء... أهلاً بعمر». رد الشيخ بلال «لكن خلينا نصلي سوا».

- «بعدين شيخنا»، وكانت واضحة علامات الإحراج على وجهه «أنا جاييك بموضوع كتير خاص».

- «ههه شفت كيف، يعني بعد الله ما هداك... خير! شو صاير معك؟».

- «بالحقيقة شيخنا، الموضوع ما بخصني، بخص حدا من رجالي»

- «خلينا نفوت على الجامع و منحكي».

- «لا معلي، يا منحكي عندك بالبيت أو عندي».

- «اتفضل لعندي بس والله شغلتلي بالي؟!».

بيت الشيخ بلال كان مقابل الجامع وعمر لم يتكلم طول الطريق، كان يسمع إنتقادات الشيخ بلال عن فساد هذا الجيل وكيف الإنترنت يؤثر سلباً على مجتمع المخيم.

- «أي عمر، كلني سمع».

- «واحد من رجالي بدو يتزوج».

قاطعه الشيخ بلال «اي منجوزو ومنجوزك الك كمان».

- «يعني يا شيخ بلال، معقول أنا جاييك بهيك موضوع، خليني إحكي» قال عمر بعصبية.

سكت الشيخ بلال وكان واضحاً أنه أخد على خاطره من عصبية عمر.

- «ما تزعل مني، بس الموضوع شوي معقد». أخد نفسًا عميقاً وأكمل، «اللي بدو يتزوجها، بتكون مرة أبن عمه».

- « يا عمر، الزواج من أرملة، عرف محبب عند الله...». وقبل أن يكمل، قاطعه الشيخ عمر وقد إحمرّ وجهه:

- «يا شيخ بلال، إفهمني، بقلك الموضوع معقد... بتقلي أرملة، لو المخلوقة أرملة».

- «ما تكمل، ما بجوز، ما بجوز». وكانت واضحة علامات الإشمئزاز على وجهه.

- «المخلوقة رح تطلق، زوجها ما بنام معها، عنده مشكلة عضوية».

شرح الشيخ عمر وعندما رأى إستغراب الشيخ بلال، أكمل «هيك خبرني».

- «وأنت شو نصحته؟» سأله الشيخ بلال.

- «أول شي، قلتله ينسى هالموضوع ويبعد عنها... بس لما خبرني قصتها و إديْ هو معلق فيها! قلت بسألك».

- «شوف يا، شو إسمه... فالنتينو». قال الشيخ بلال بنبرة مسخرة.

وقف عمر وعلامات الندم والحزن واضحة على وجهه.

- « قعود، قعود! يعني الشيخ عمر تارك مشاكل المخيم وعم بفوت بقصص». سكت الشيخ بلال قليلاً وأكمل «أستغفر الله العظيم».

- «هيدا الشب كتير بهمني».

- «مع إنك مقصر بحق الله عز و جل، بس الله بحبك لأنه فضحلك هيدا الشب بكير».

أكمل الشيخ بلال بعد أن بقي عمر صامتاً، كان يبلع بريقه «أن الله لا يحب كلّ خوان كفور». استشهد الشيخ بلال بآية من القرآن وأكمل «هيدا الشب خان أبن عمه عندما أحب زوجته، بكرا بخونك وبخون القضية، أنا متأكد أنه إذا حققت بأمره رح تلاقيه خاين».

هز عمر برأسه كأنه يوافق الشيخ بلال، لكنه كان يتصبب عرقاً، وعلامات القهر والخوف واضحة:

- «طيب شيخنا مشكور، بتوصينا شي؟» و كان صوته مخنوقاً.

- «مين هيدا الشب يا عمر؟».

تفاجأ عمر بسؤال الشيخ بلال، لكنه أجاب بحنكته المعهودة: «شو بنا شيخ بلال، هيك قصص فيها أعراض، وبعدين الشب أمّني».

رد الشيخ بلال بنبرة حدّة وهو يلوح أصبعه «هيدا الشب خاين و...».

قاطعه عمر بسرعة: «هو خاين، أنا لأ!».

- «بس يا عمر... هيدا الشب والمرا اللي فضحت زوجها لازم ينفضحوا»

سكت عمر قليلاً ونظر إلى الشيخ بلال «أن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها».

«صدق الله العظيم» رد الشيخ بلال بصوت مهزوم.

أما عمر الذي كان بالنسبة للشيخ بلال منتصراً، فكان القهر يضربه في صميم قلبه، وبعد ما وصل إلى الباب نظر إلى الشيخ بلال وسأله:

- «شيخنا بدي أسألك، من باب الحشرية، لو أنها مُطلّقة، دينياً بجوز الزواج؟».

«الزواج مش محرم دينياً، بس المجتمع والناس ما رح يتقبلوهم، رح يكونوا بنظرهم خونة»، أكمل الشيخ: «اسمع مني يا عمر، ما بدك هيدا الشب بمجموعتك».

- « معك حق، رح إبعده».

جواب الشيخ بلال زاد حيرة عمر، الذي لم يعرف كيف يتخلص من هذا الوضع وكان من المستحيل أن يتخلى عن حبه لريم.

***

اجتمعت العيلة ثاني نهار عند أم خالد، لاحظ الجميع إرتياح ريم و كيف أن البسمة لا تفارق وجهها، حتى نيرمين سألت خالد عن الموضوع، فأكد لها أنه ليس لديه أي فكرة عن سبب سعادة ريم، بل كان باله مشغولاً بخاله بعد أن أحسّه مرتبك ويتجاهله.

لحقت نيرمين ريم إلى المطبخ:

- «شو القصة ريم، شايفتك مبسوطة ومفرفحة، يعني على غير عادة؟!»

- «عادي، يعني شو بدو يكون في؟».

- «إنتي بتعرفي إني بحبك وإنك متل أختي الصغيرة، فيكي تخبريني كل شي».

تفاجأت ريم بكلام نيرمين، ولم تستطع أن تفهم تقلباتها معها، كانت أحياناً تحسّها قريبة ومحبة وأحياناً تحسّها لئيمة وقاسية. لكن ريم لم يكن عندها نضج وخبرة الشيخ عمر، على العكس كانت بريئة وتثق بالاشخاص بسهولة.

أكملت نيرمين عندما وجدت ريم ساكتة و تفكر.

- «إذا صار شي بينك وبين خالد فيكي تخبريني، أنا ما رح إزعل، بالأخير هو زوجك وهيدا شرع الله».

غشت ريم من الضحك وردت عليها وما زالت تضحك «لا اطمني، أكيد ما صار شي بيني وبين خالد وما رح يصير». وسكتت ريم عندما رأت أم خالد قادمة.

- «شو عم تحكوا عني إنتي وياها؟».

- «ولو يا أم خالد، إذا عم نحكي عنك، منكون عم نحكي عنك بالمنيح» ردت نيرمين.

- «أنا مطمنة بالي من ناحيتك، بس ...». ونظرت إلى ريم.

- «رح أخد الفواكه» ردت ريم.

- «خليكي أنا باخدهن. عمر عايزني أنا وخالد بموضوع خاص، خليكن هون».

- «لا مرة عمي، أنا رح إمشي على الصالون ، بس يوعى ياسر، احكوني».

- «ولا يهمك، ياسر بعيوني». ردت ريم.

دخلت أم خالد إلى غرفة الجلوس، أغلقت الباب:

- «أي عمر، خير تقبرني، شو الموضوع؟» وكانت قد بدأت بتقشير الليمون.

أخذ عمر نفسًا عميقًا ونظر إلى خالد: «كيف وضعك مع ريم هل الايام؟»

- «خالي، شو قصتك مع ريم؟ هي اشتكتلك شي؟».

انتفض عمر «شو يعني، ما في لا قصة ولا شي، وبعدين وين بدي شوفها لتشتكيلي؟» سكت عمر ثواني وأكمل «يعني كنت عم قول يمكن أحلى اطلقها وتشوف هي حياتها».

- «لا أخي، مو حلوة يطلقها، بالأول والأخير هي بتكون بنت عمه» ردت أم خالد.

نظر عمر إلى خالد، منتظراً منه جواب:

- «خالي في شي؟ ليه بدك ياني طلقها؟ كنت بالأول معارض إني اتزوج عليها». رد خالد وكان واضحاً إستغرابه من حديث خاله.

- «مزبوط، بس أنا عم بقترح الفكرة، لأنه ريم بعدها صغيرة ويمكن إذا طلقتها، يجي نصيبها».

- «ليك هالحكي، يجي نصيبها؟! شو ناسي شو عمل بيها، على القليلة هيك الناس ما عم تحكي شي لأنها مرة خالد، والله إذا طلقها ليشحتوهن من المخيم... وبعدين دخلك ما نص بنات المخيم بعدهن بوج أمهاتن» ردت ام خالد وهي تأكل الليمون.

في الحقيقة، أم خالد ليست مهتمة بسمعة ريم أو مصيرها، لكنها سعيدة بوضع ريم هذا، فريم تهتم بالأعمال المنزلية وبياسر، عمر كان يفهم تفكير أم خالد.

فكر عمر كثيراً بوضعه مع ريم وأحسّ أنه أخطأ عندما اقترح الطلاق، في الأخير لو طلّق خالد ريم لن يستطيع عمر أن يتزوجها، حتى لو تزوجها بالسر واستأجر لها خارج المخيم، وضعه لا يسمح له بالخروج من المخيم.

أما ريم، فكان كل همها أن يأتي الليل لتحكي مع عمر، كانت تحاول أن تجد طريقة لتلتقي به لوحدهما.

مرّ شهران... ريم وعمر على حالهما، يلتقيان عند أم خالد، يسترقان النظرات واللمسات مثل المراهقين، إلى أن إقترحت ريم على أم خالد أن تذهب لتنظف بيت عمر، طبعاً أم خالد رحبت

بالفكرة، عندما زارها عمر، طلبت منه المفتاح وأخبرته أنها ستعطيه لريم لتنظف البيت، وافق عمر وبعد أن مشت ريم بعشر دقائق، استأذن عمر بأن عنده كم شغلة في المخيم ووعد أخته أن يعود إليها كي يأخذ المفتاح من ريم.

***

المصيبة

ما إن وصل إلى المنزل، حتى وجد ريم مُغمى عليها، أيقظها بالعطر سريعاً، واتصل بأم خالد وقال لها أنه قرر أن يمر إلى البيت ليأخذ قطعة سلاح، فوجد ريم واقعة على الأرض وطلب منها أن تحضّر حالها حتى يمر يأخذها معه إلى المستشفى.

لم تُرِد ريم الذهاب إلى المستوصف، وأكدت لعمر بأن ما حدث معها سببه التعب لكن عمر أصرّ عليها.

وصلوا إلى مستوصف المخيم، دخلت ريم وأم خالد بقيت مع عمر في صالون الانتظار، وبعد كم سؤال لريم باركت لها الدكتورة أنها حامل، قالت لها أنها ستعمل فحوصات ليتأكدوا من الحبل وبأي شهر. نزلت ريم عن سرير الفحص ووجهها أصفر.

- «دكتورة مش معقول أنا كون حامل، إنتي متأكدة؟!».

- «تسعين بالمئة، بس رح نتأكد من فحص الدم، وفيكي تجيبي من الصيدلية فحص الحبل وتتأكدي دغري، مبروك».

وبسرعة البرق وقفت ريم وطلبت من الدكتورة «الله يخليكي، ما تخبريهن شي...».

- «بس يا ريم، إنتي يمكن ما بتعرفيني، بس أنا بعرف قصتك، بعرف أنُ خالد زوجك تزوج عليكي الحلاقة كرمال الأولاد».

وأكملت الدكتورة مستغربة عندما رأت ريم تبكي «والله، إنتي لازم تشكري الله سبحانه تعالى، رح يفرحلك قلبك بولد وهلق بتشوفي كيف رح يدللوكي بس يعرفوا».

أصرت ريم بينما تمسح دموعها «معليه دكتورة، الله يخليكي، ما تقوليلهن، أنا بعدين بخبرهن».

- «طيب متل ما بدك، بس لازم أكتب لك شوية مقويات ولازم تاخديهن ولازم نعمل فحص الدم».

- «خلص دكتورة، اكتبيلي على المقويات وأنا رح جيبهن وبكرا بجي بعمل فحص الدم».

- «كتير منيح لكن...». خرجت ريم من العيادة لتجد أمها منتظرة مع أم خالد وعمر.

- «تقبريني يا إمي، سلامتك، خير إمي، شو قالتلك الدكتورة؟».

- «ما تخافي، قال شوية تعب، كتبتلي مقويات وطلبتلي فحص دم».

- «ليكي عملي حسابك تقعدي عندي شي أسبوع». ونظرت إلى أم خالد وأكملت «هيك بترتاحي...».

- «شو قصدك أم أحمد؟» ردت أم خالد «ما تكوني...» وقبل أن تكمل سكتّها عمر «خلصنا، خلينا نمشي».

وسأل ريم «وين الروشاتة؟».

ردت ريم وكان واضحاً التعب عليها «هي معي».

خرجوا من المستشفى وكان كل الوقت عمر ينظر بالمرآة، وهو متفاجئ بريم، كيف قلبت حالتها للأسوأ.

عندما وصلوا إلى أم خالد، نزلت ريم بحجة أنها تريد ان تحضر ثيابها، لكن كان كل همها احضار التلفون لتتكلم مع عمر. وبعد ذلك أوصل عمر أم أحمد وريم إلى البيت.

وبعد أن نامت أمها واخواتها، دقت ريم لعمر، ما إن سمعت صوته حتى فرطت بالبكاء، ولم تستطع أن تخبره بشيء من كثرة البكاء، حينها قرر عمر أن يأتي إليها، طلب منها أن تفتح الباب عندما يتصل بها.

خاطر عمر بهذه الزيارة، كان هناك إحتمال كبير بأن ينكشف، لكنه لم يتحمل إنهيار ريم وانشغل باله كثيراً، أما ريم، بالنسبة لها، المصيبة وقعت وبينها وبين الفضيحة بضعة أيام.

لف عمر كوفيته، ذهب لرؤيتها، وما إن وصل، تأكد أن ما من أحد يراه، اتصل بريم التي كانت تنتظرة على الباب.

غمرت ريم عمر ولم تستطع أن توقف البكاء، بقي عمر صامتاً، ضمّها إلى صدره حتى هدأت وهمست له:

- «مصيبة يا عمر».

أمسك عمر وجهها بيديه الإثنتين ونظر إلى عيونها «شو في؟!».

- «أنا حامل» ردت ريم بصوت منخفض.

ترك عمر وجه ريم بسرعة ووضع يده على فمه وسند ظهره إلى الباب لثوانٍ، ثم تدارك ردة فعله وإقترب من ريم وأمسك رأسها بيده وضمها إلى صدره وهمس بأُذنها «متأكدة؟».

- «بعد ما وصلتنا، رحت على الصيدلية وعملت الفحص وتأكدت».

- «في حدا بيعرف؟».

- «لا ما حدا، يس خيفانة الدكتورة تحكي، ترجيتها ما تخبركن، بس هي قالت إنه بتعرفني وبتعرف قصتي، وإنه خالد تزوج عليّ كرمال الأولاد».

فجأة سمعا صوت أم أحمد «ريم، ريم».

فتح عمر الباب سريعاً ورحل، وأغلقت ريم الباب ووجدت أمها واقفة، صرخت ريم وكان الخوف واضحاً على وجهها.

- «إمي!».
- «مين هيدا؟».
- «هيدا... هيدا خالد جايي يطمّن عليي» وهي مرتبكة.
- «الساعة تنتين جاي يطمّن عليك والله فيه الخير..» قالت لها بمسخرة، أدارت ظهرها وأكملت:
- «فوتي نامي بنتي، فوتي نامي، الله يسامح اللي كان السبب».
- «هييني لاحقتك».

تمددت ريم على التخت، بعثت برسالة إلى عمر طمنته ما حدث مع أمها وأغلقت تلفونها وأخفته تحت الفرشة. أفاقت ريم في الصباح التالي على صوت أم زينب عندهم.

- «صباح الخير خالتو أم زينب».
- «صباح الفل حبيبتي، كيفك؟».
- «الحمدالله، شو وينها زينب؟ ليه ما إجت معك؟».
- «زينب سجلت بمعهد، تدرس إنكليزي، بس عليم الله لو عرفتك هون، كانت أكيد عطلت وأجت معي، مع إنك مقصرة معها».

- «معك حق خالتو، بس والله غصب عني».

أحضرت أم أحمد صينية القهوة، وقالت وهي تضع الصينية على الطاولة «والله يا أم زينب، الله يساعد ريم، لو ماخدة يهودي والله كان أحلى».

- «يي يي شو هالحكي يا أم أحمد؟! ما تقوليلي أنه ريم حردانة وجاي عندك؟».

- «لا يا خالتو، ما في هيك شي، بس أنا تعبانة شوي وإمي أصرت أجي أنام عندها».

ردت أم أحمد بسرعة «تعبانة شوي، وحياتك يا أم زينب، مبارح إجا واحد من أولاد الحارة بقلي إنه بنتي غط على قلبها والشيخ عمر أخدها على المستشفى، أتاري». غصت أم أحمد وبدأت تبكي وأكملت:

- «اتاري بنتي كانت عم تنظف له البيت، أم خالد محسبة بنتي لفّاية عندها». وانهارت بالبكاء.

إقتربت ريم من أمها ووضعت يدها على كتفها:

- «لا يا إمي، إنتي فهمانة الموضوع غلط، القصة مش هيك، أنا قلتلها لأم خالد» وقبل أن تكمل، صمتت ريم وخافت إذا قالت لأمها أنها هي من إقترحت الفكرة، أن تحسّ أمها أن هناك شيء بينها وبين الشيخ عمر.

كانت أم أحمد وأم زينب تنظران إلى ريم منتظرين أن تكمل حديثها، بدأت ريم بصب القهوة لتكون جمعت أفكارها، أخذت أم زينب فنجان القهوة وقالت:

- «بصراحة أم خالد، ما معها حق تعمل هيك، هيي غلطانة، بس أنا مستغربة كيف الشيخ عمر بيقبل بهيك شي؟».

ردت أم أحمد باستنفار: «الشيخ عمر، ما هو متل أخته، ما هي ربّته... كل المخيم مغشوش فيه، بس أنا بعرفه على حقيقته... هو قتل أحمد وهلق بدهُن... استغفر الله العظيم». وغرقت أم أحمد بالبكاء.

عملت أم زينب وريم على تهدئة أم أحمد وعندما هدأت...

- «يا إمي شو بكي... أم زينب جاي تشرب فنجان قهوة، مش نبكيها!».

- «بزعل منك يا ريم، أنا وإمك خيات... إذا مش إلي فشت خلقها، لمين بدها تحكي؟» جاوبت أم زينب وهي تمسح دموعها.

المشكلة أن ريم كانت متأكدة أن أم زينب سوف تبث الحديث في المخيم. وأكملت أم زينب:

- «قولي هلق المفروض، أبو أحمد يحطلها حد لأم خالد ويحكي مع خالد»

اطلعت ريم و أمها ببعضهم مستغربين.

- «شو بكي أم زينب، شو نسيتي أنُ أبو أحمد بدو يحرر سوريا». قالتها بمسخرة،

- «لا ما نسيت، بس مش هو رجع امبارح؟». ردت أم زينب بثقة.

- وقفت ريم «قولي والله يا خالتو... مين قلك؟ وليه بعد ما إجا على البيت؟!».

- «لأنه عارف إنُ إذا إجا لهون، رح إخنقوا بأيدي هو...» ردت أم أحمد بعصبية.

نظرت إليهم أم زينب بإستغراب «إذا مش أبو أحمد اللي أجا مبارح بنصاص الليالي؟ مين لكن هيدا اللي أجاكن؟».

- «ما حدا» جاوبت ريم وهي مرتبكة.

- «هيدا المحروس خالد، غط على قلبها الصبح... بقي لنص الليل ليجي يطّمن عليها، وشو... وقف على الباب متل اللص».

- «بتكون نيرمين ما خلته يجي...» ردت أم زينب وأكملت وهي تضحك «أنا قلتله لأبو زينب أنه ما معقول يكون أبو أحمد رجع و الجماعة بقو نايمين».

وقع الهم في ركاب ريم، لأنه أكيد أم زينب سوف تفضح الموضوع بالحارة وأكيد سيصل الخبر إلى خالد.

استأذنت أم زينب بعد ما شربت القهوة، قضت ريم نهارها منزوية وشاردة في غرفتها حتى أتت زينب لعندها.

***

الهروب أم المواجهة

قضى عمر نهاره في البيت يحاول أن يجد حلاً، المشكلة أن عمر لا يستطيع أن يترك المخيم، كان مطلوباً من الدولة اللبنانية، وداخل المخيم من المستحيل أن يثق بأحد ويخبره عن هذه المشكلة، لأن موضوعاً كهذا مثله مثل العمالة، إن لم يكن أسوأ، أما الإجهاض فيجب أن يكون خارج المخيم، في بيروت. فجأةً وجد عمر نفسه يفكر بالهروب فقط.

كان عمر يفكر بطريقة يخرج فيها من المخيم هو وريم وأن يختفوا.

يا الله، كيف الإنسان يتغير، عدنا إلى نظرية النسبية، ويبقى السؤال، هي الحياة التي تتغير وتغيّرنا، أم نحنا نتغير ونغّير ظروفنا وحياتنا، ليس المهم من يغير الثاني، المهم أنه في الأخير نحن نتغير، ممكن للأسوأ، ممكن للأفضل، إلا أن لحظة الخيار والقرار تبقى أصعب محطة في حياة الإنسان.

هنا يأتي السؤال، الإنسان مسير أو مخير، وهل صحيح أنه من لحظة ولادتنا، يُكتب قدرنا وتُكتب حياتنا؟ طبعاً لا!

يعني ليس معقولاً، ألّا نكون مسؤولين عن حياتنا، وحياتنا كلّها عبارة عن خيارات نرسمها، لا أحد وُلد ليكون بطلاً ولا أحد وُلد ليكون مجرماً، غريب كيف يستطيع الإنسان أن يتحول ويتغير.

الشيخ عمر بطل حرب، رمز الوفاء والشرف، المخيم كلُّه يحلف باسمه، خان أقرب الناس له، والآن هو أمام أصعب قرار، إما أن يتخلى عن ريم وعن حبه ويظل بطلاً لكل المخيم وينكسر من داخله ويصير خائناً بنظر نفسه، أو يعترف بحب ريم ويصير الخائن والشيطان الأكبر بنظر المخيم، لكنه سيكون بطلاً بنظر نفسه، أو يهرب هو وريم ويحرق قلب أخته، ويتحول للغز كبير وليس بعيداً أن يصبح مخطوفاً أو شهيداً، لكن ريم تبقى المشكلة.

حاول أن يتصل بريم يطمئن عليها لكنها لم ترد، كانت مشغولة بأخبار زينب التي تذهب إلى المعهد تتعلم الإنكليزية، لكنها بأغلب الأحيان، كانت تقضي وقتها مع شباب تتعرف عليهم على الفيس بوك.

ريم خطرت في بالها فكرة، تطلب من خالد أن يسجلها بالمعهد وهكذا يمكن أن تتصرف بحبلها وتجهض الولد.

ما إن رحلت زينب حتى اتصلت بعمر وأخبرته بماذا تفكر. وافق عمر على فكرة ريم وقرر أنه بعد أن تتخلص ريم من الولد، سيقنع خالد أن يطلقها، وهو بهذه الفترة يكون قد أحضر هوية مزيفة وحينها

يأخد ريم ويبدؤوا حياة جديدة سوياً خارج المخيم. أحسّ عمر أنه يسيطر على الوضع لكنه يجب أن يدبر خروجه من المخيم، لن يترك ريم تقوم بعملية الاجهاض وحدها.

أغلقت ريم هاتفها عندما سمعت دقة الباب، كانت أمها عائدة ومعها أكياس الملوخية، سهرت ريم حتى نصف الليل تساعد أمها بتنقية الملوخية حتى تسلمهم ثاني نهار باكراً.

في اليوم الثاني، ذهبت ريم باكراً عند أم خالد، بما أنه عطلة، أكيد خالد و نيرمين سيأتيان، وهكذا تخبر خالد بخصوص المعهد.

كانت ريم متأكدة أن خالد سيوافق، عمر لم يقبل عزيمة أخته وإبنها في بادىء الأمر، إلا أن ريم بعثت له رسالة، أنها إشتاقت له وأنها أتت تزور أم خالد كي تراه.

أتى عمر وقت الغداء، كان واضحاً الهم على وجهه، بينما كانوا يأكلون، فتحت ريم موضوع المعهد:

- «على فكرة خالد، زينب مسجلة بمعهد إنكليزي بصيدا وأنا حابة سجل كمان، منه بعبي وقتي وبكون عم بتعلم».

نظرت أم خالد بطرف عينها بريم وقبل أن تتكلم رد عمر بسرعة حتى يقطع أي إحتمال أن تتدخل أم خالد وقال لها:

- «برافو ريم، فكرة ممتازة، من الأساس خالد كان عامل حسابه أنه تكملي علمك» ونظر إلى خالد وأكمل «شو خالد...؟».
- «أي أي، ما في مشكل إديه بتكلف؟».
- «ما بعرف، بسأل زينب وبقلك» ردّت ريم.

لم تكن نيرمين على بعضها في الغداء وكان واضحاً إنزعاجها من ريم ولم تدعها تهتم بياسر.

بعد الغداء، طلب عمر من خالد أن يتكلما على انفراد، أعطاه مبلغ خمسمئة دولار، في بادىء الأمر لم يقبل خالد، لكن عمر أصر بحجة أنه الآن عنده ولد ومسؤول عن بيتين.

أراد عمر أن يضمن أن خالد سيسجل ريم في المعهد، وبنفس الوقت كان عمر يتواصل مع صديق قديم له في مخيم نهر البارد وقد طلب مساعدته حتى يؤمن له هوية جديدة ليخرج من المخيم.

كان عمر قد رسم الخطة التي بدأتها ريم، ريم تترك المخيم بحجة المعهد، تتخلص من الطفل ثم تطلب الطلاق من خالد. وبعدها بكم شهر يتزوج ريم وحينها لن يعارض أحد هذا الزواج بما أنه ليس هناك أي عائق ديني، بالنسبة لعمر الموضوع لن يأخذ أكثر من ستة أشهر.

لكن، مثل ما يقول المثل «الرياح تجري بما لا تشتهي السفن».

نيرمين عارضت أن يسجل خالد ريم في المعهد، كانت مقتنعة أن هناك شيئاً بين خالد وريم، وأكدت شكوكها عندما أم زينب أخبرتها أن خالد ذهب بنصف الليل كي يطمئن على صحة ريم. وطبعاً خالد الذي كان ليلتها سهران في صيدا مع أصدقائه يتابع مباراة كرة القدم، أنكر القصة وهذا أكد لنيرمين أن خالد يخونها مع ريم.

وصلت نيرمين بشكوكها أن تعتقد أن خالد وريم متفقان على خبرية المعهد حتى يلتقيا ببعض بعيداً عنها، فحلفت إذا ريم تسجّلت بالمعهد ستطلب الطلاق وتحرمه رؤية ياسر، وتهديد نيرمين كان أكثر من كافٍ حتى يرفض تسجيل ريم في المعهد ونيرمين التي كانت تعرف كل شي عن بنات المخيم، زودته بالحجة اللازمة.

في اليوم الثاني، مرّ خالد على أمه بعد المدرسة، ليرى ياسر ويتغدى معهم، أخبر ريم بقراره، فتفاجأت بقراره:

- «ليه ما بدك؟».

ردت أم خالد وفرحتها واضحة «يعني ناقصه مصاريف، ما بكفي المبالغ اللي عم يدفعها لإمك؟».

- «لا امي، مش هيدا السبب، بس هيدا المعهد مشبوه. أنا ما بهون عليي مرتي اللي هي بالأساس بنت عمي تنوجد بهيك محل».

- «كيف يعني؟». ردت ريم وكانت قد بدأت بالبكاء.

- «يعني أغلب البنات اللي مسجلين بهيدا المعهد بقابلوا شباب طالع نازل... يعني».

- «ييي على هالجيل ما أقل شئمته، شو ست ريم بدك تجرصينا بهالآخرة؟!» ردت أم خالد.

- «بس ولا يهمك ريم، أنا رح جبلك كتب وسي ديات يعلموكي الانكليزي بالبيت ومسجلة لتسمعي السيديات عليها».

امتصت ريم غضبها، حبست دموعها وركضت إلى غرفتها وبعثت رسالة إلى عمر تخبره بما حدث.

اتصل عمر بخالد نفس الليلة وسأله عن سبب عدم تسجيل ريم بالمعهد، عرض عليه أن يدفع هو التسجيل، لكن خالد فاجأ عمر عندما سأله كيف عرف أنه رفض تسجيل ريم وسأله بعصبية إذا ريم إشتكت له؟

عمر الذي كان يخطط حروباً، يضع تكتيك الهجوم الذي لم يفشل أي مخطط من مخططاته، فجأة وقع بهفوة سخيفة، غريب كيف يستطيع الحب أن يوقظ الطفل الذي يعيش في داخلنا ببراءته وعفويته؟!

كي يتخلص عمر من سؤال خالد، ارتكب غلطة أكبر، أخبره أنه عرف من رفيقة ريم، من زينب، وبعد أن لفظ إسم زينب، ضرب يده على الجدار، لكن يا ليت هذه الضربة تصلح الضرر الذي حدث أو

ترجع الوقت أو حتى تُنسي خالد ما سمعه...، خفف خالد من حدة صوته وصار يضحك.

- «أي هيك خال، سمّعنا الأخبار الطيبة، ولا يهمك من ريم، أنا رح أعرف قصّلها لسانها».

- «شو هالحكي هيدا... إنت جنيت!».

- «خبرت زينب إني ما قبلت سجلها، بس ما خبرتها إنه إشتريتلها مسجلة وسي دييت تتعلم الانكليزي، كرمال بكرا أم زينب تفضحنا، ما تزعل مني خال، بس حماتك المستقبلية أهم من رويترز».

- «خالد روق، روق، مش لازم نيرمين تعرف أي شي، أنا بعد ما حسمت قراري ومش حلوة ينحكى بهيك موضوع، إمك ما عندها علم».

- «خلص خال ولا يهمك، ما رح خبر حدا... بس والله بسطتني بالخبرية».

***

الهروب

أغلق عمر الخط، إتصل بريم وأخبرها ما حدث، وطلب منها أن تحضّر نفسها ليهربا سوياً لأنه لم يبق أي حل آخر وطلب منها صورة شمسية. ثم اتصل عمر بصديقه واستعجله بتزييف الوثيقة الجديدة

وبتحضير وثيقة أخرى باسم فتاة. واتصل بأحد معارفه في مخيم نهر البارد وأخبره عن نيته بأن ينقل إلى المخيم ، لذا يريد أن يحضّر له شقة وأكد له أن الموضوع يجب أن يكون بكامل السرية.

زار عمر أخته وما إن أصبح وحده مع ريم، أعطاها ظرفاً وأخذ منها صورة شمسية. وما إن رحل، فتحت ريم الظرف لتجد مبلغ ألفين دولار مع رسالة بأن تعطي المبلغ مع مجوهراتها لأمها.

أغلقت ريم الظرف وانهارت بالبكاء، لم تكن تعرف سبب بكائها، كانت تبكي من فرحتها بعمر الذي فكر بأهلها والذي قريباً سيكونان سوياً، أو من حزنها على فراق أمها وأخواتها.

وقبل مرور أسبوع، حضّرت ريم حقيبة صغيرة، أخبرت حماتها بأنها توضب ثيابها الشتوية وزارت أمها وأعطتها الظرف مع المجوهرات.

أم أحمد إنصدمت بهذا المبلغ وبالمجوهرات، لكن ريم فهمّت أمها أن هذا المبلغ أعطاها إياه خالد عندما تزوج نيرمين وهو الآن يسألها عنه، وهي قالت له أنها أعطته لها، وبأنها خائفة أن يبيع خالد المجوهرات، فقررت أن تخبئهن عندها.

رحلت ريم من عند أمها بعد أن قضت نهارها برفقة أخواتها. وقبل أن تصل إلى منزل أم خالد، اتصل عمر وطلب منها أن تخرج من المخيم وتتصل به عندما تجتاز بوابة المخيم، وعندما قالت له أنها

تريد أن تمر على المنزل لتجلب ثيابها، اعترض بأنها ستلفت الأنظار وأن الوقت يداهمهم ويجب أن يرحلا قبل صلاة المغرب وطلب منها إذا التقت بأي أحد أن تقول بأنها ذاهبة إلى المعهد لتلتقي بزينب.

وصلت ريم إلى بوابة المخيم، وكانت هذه المرة الأولى التي تخرج فيها وحدها من المخيم، أحسّت بالخوف وترددت، أرادت أن تعود لكنها تذكرت الطفل الذي في بطنها، ثم اتصلت بعمر فطلب منها أن تمشي باتجاه سيارات التاكسي وأعطاها عنوان في صيدا لتعطيه للتاكسي.

وصلت ريم إلى العنوان الذي أعطاها إياه عمر، كانت بناية مؤلفة من خمسة طوابق، وفيها صالون تجميل، ثم دق تلفون ريم وطلب منها عمر أن تدخل إلى الصالون وتسأل عن فاطمة وتخبرها أنها هي الفتاة التي أتت من قبل نيرمين وأكد عليها ألّا تقول إسمها.

دخلت ريم إلى الصالون وطلبت أن ترى فاطمة التي كانت تجلس وراء مكتب بآخر الصالون وتدّخن سيجارتها، إقتربت ريم منها:

- «مرحبا، أنا البنت اللي من قبل نيرمين».

أطفأت فاطمة سيجارتها بطريقة مفاجئة، وقامت من وراء مكتبها، وقالت لها «إلحقيني»...

خرجتا من باب خلفي للصالون يؤدي إلى مدخل درج البناية، صعدتا الدرج، لم تستطع ريم أن تتكلم من كثرة الخوف. عندما وصلتا إلى الطابق الرابع دلت فاطمة ريم على الشقة ورحلت.

بقيت ريم واقفة مكانها تراقب فاطمة وهي تنزل على الدرج، غير قادرة على التحرك من شدة اضطرابها. وما إن غابت فاطمة عن نظرها، سمعت صوت قفل باب، نظرت إلى الشقة التي دلتها عليها فاطمة فوجدت عمر على الباب، ارتسمت على وجهها الضحكة وصارت تبكي وركضت إلى عمر.

بمجرد أن أُغلِق الباب عليها وعلى عمر حتى أحسّت ريم بالأمان، على عكس عمر الذي كان يحمل همّ هروبهما.

شرح عمر تفاصيل الخطة لريم:

- «رح نترك الساعة سبعة الصبح بميكروباص من صيدا، وانتي رح تحملي كتب كأنك تلميذة جامعة وتشيلي الحجاب حتى ما حدا يعرفك، وأنا رح إحلق ذقني وارتدي النقاب وبكون رفيقتك بالجامعة».

غفت ريم على صدر عمر مثل طفلة، أما عمر فلم يستطع النوم، فقد وجد نفسه أمام مسؤولية أكبر من مسؤولية المخيم، سيصبح أب، ويعيش هوية جديدة والشيخ عمر سوف يختفي.

في الصباح، ارتدت ريم الثياب التي حضرها لها عمر وهي سروال الجينز وقميص حمراء واسعة، تركت شعرها البني ينسدل على ظهرها، وضعت نظارة شمسيية وحملت الكتب، وبالفعل لم يكن أحد ليعرفها بالرغم من أنها كانت ملفتة للنظر بطلتها، أما عمر فحلق ذقنه وارتدى العباءة السوداء ووضع النقاب.

- «وبس نوصل على بيروت، شو منعمل؟» سألت ريم.

- «ما شي، بتلبسي انتي النقاب وأنا برجع عويناتي». قال عمر مع ضحكة وأكمل «بتعرفي اني هلق انا كتير غيران، بس للضرورة أحكام».

- « بس أنا عم فكر إني ما رجع الحجاب»، مع بسمة خجل ردت ريم ضم عمر ريم إلى صدره، وشرح لها بقية الخطة:

- «بس نوصل على بيروت رح ناخد سيارة تاكسي، أنا رح سوقها لحتى نوصل على مخيم نهر البارد، هونيك، أنا فهمّت الجماعة اللي ساعدوني أنه إنتي كنتي مزوجة مسؤول بالجيش اللبناني، وسربتيلي معلومات وهلق زوجك عم يلاحقك، وكنت مخبيك عندي بالمخيم، بس أنا هلق ملاحق من الجيش اللبناني وكرمال هيك هربنا من عين الحلوة».

- «والولد اللي ببطني... شو؟ رح يفكروا إبن العسكري».

- «انتي تزوجتيه زواج متعة لمدة ستة أشهر وإلك ستة أشهر عندي وتزوجتك بالسر وبما أنه حبلتي، أنا بدي أشهر زواجنا، وهيدا رح يكشف أمرنا، كرمال هيك، رح نغير هويتنا».

- «ليه ما منقول الحقيقة وخلصنا؟ لي كل هل البرمة؟».

شدها عمر إليه أكثر «لأنه ما حدا رح يفهم».

وصلوا إلى ساحة النجمة، صعدوا بالمايكروباص وكانت الخطة ماشية تمام.

لم يكن أحد من المخيم قد فقد ريم، أمها تعتقد أنها عند حماتها، وحماتها اعتقدت أنها نائمة عند أمها وكانت تنتظر خالد لتشكي له أن ريم لم تخبرها أنها ستنام عند أمها.

عندما وصلا إلى جسر الكولا، نزلت ريم وعمر ومشيا باتجاه الجامعة العربية، دخلا استوديو تصوير، وتبين أن عمر يعرف صاحب الاستديو.

لبست ريم النقاب والشادور وأعطاهم صاحب الاستوديو مغلف، أخد عمر الهويات الجديدة ومفتاح سيارة . الشيخ عمر صار إسمه أحمد وريم صارت هبة.

السيارة كانت مرسيدس موديل سبعة وثمانين بيضاء، فيها كم مشحة سوداء، كانت بنمرة حمراء.

طلب من ريم أن تجلس على المقعد الخلفي، وبعد أن تأكد عمر من أن كل الأوراق المطلوبة جاهزة بالسيارة، إنتزع سلاحاً صغيراً من جرابه ووضعه تحت المقعد.

وقبل أن يقود، طلب من ريم أن تحفظ هويتها الجديدة، فإذا أوقفهم أي حاجز، يجب أن تستعملها.

قاد عمر السيارة على أساس هو شوفير تاكسي وناقل هبة من صبرا لعند أهلها في مخيم نهر البارد.

كل شيء كان يسير حسب الخطة، لم يقف على أي حاجز. عمر كان مطمئن البال، أن أحدا في مخيم عين الحلوة لم يفقد ريم وإلا كانت أخته اتصلت به لتخبره.

وصلا إلى طرابلس، عمر طمأن ريم بأنهما سيصلان بعد قليل، وأن الخطر تقريباً زال، لكن توقعات عمر قد خابت.

أوقفهم حاجز الجيش بأول طرابلس، طلب الهويات وأوراق السيارة، عمر بقي محافظاً على هدوئه، أما ريم كانت ترتجف من خوفها.

أخد العسكري الهويات، و ذهب باتجاه عسكري آخر، كان واضحاً أنه الضابط المسؤول، في لحظتها عمر أخد السلاح بيده و

طلب من ريم أن تخفض رأسها و داس البنزيين بأقوى ما فيه، فجاةً أحسّت ريم كأنها في فيلم بوليسي، لكن بدل التشويق سيطر عليها الرعب، كان الزجاج يتناثر في كل أنحاء السيارة و صوت الرصاص أقوى من صوت عمر، الذي خاف أن تكون ريم قد تصاوبت، عندما لم ترد عليه، فأوقف السيارة و نزل يسلّم نفسه، لعله ينقذها، ولكن الرصاص، كان أسرع من أوامر الضابط بوقف الرصاص.

هدأ الرصاص، رفعت ريم رأسها لتجد السيارة فارغة، فتحت الباب ونزلت. وبالرغم من أنها كانت تسمع صوت العسكر «مطرحِك..، إيديك لفوق...»، لكن المنظر أمامها أقوى من صوت العسكر والخوف.

رأت عمر ممداً على الأرض ينتفض بدمه، ركضت، ركعت بجانبه ونزعت النقاب والحجاب ووضعت يدها تحت رأسه وضمته إلى صدرها، أغمض عمر عينيه بين يديها وصراخها ملأ سماء طرابلس.

هكذا مات عمر، لا شهيد قضية ولا شهيد وطن، مات شهيداً للحب...

26 أيلول 2018

ما تقولي إني تركتِك

ما تقولي إني هجرتِك

بس الوقت يكون الحَكَم

ما بِعود في خيار

وبصير القَدَر هوِ القَرار